مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Études sur les Ressources, Mobilité et Attractivité - LERMA

كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

التاريخ والديناميات الاجتماعية

متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي

تنسيق :
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

الجزء الأول

2024

مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Études sur les Ressources, Mobilité et Attractivité - LERMA

كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

Histoire et dynamiques sociales

Mélanges en l'honneur du professeur Hassan HAFIDI ALAOUI

Coordination :
Mohamed RABITATEDDINE et Mohamed ELAKLAA

Tome 1

2024

مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Etudes sur les Ressources, Mobilité et Attractivité - **LERMA**

MARRAKECH
جامعة القاضي عياض
UNIVERSITÉ CADI AYYAD
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

التـاريـخ
والـديناميات الاجتماعيـة

متنوعـات مهداة إلـى الأستاذ
حسن حافظي علـوي

تنسيق :
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

الجزء الأول

2024

محفوظة جميع الحقوق
©Copyright

الـتــاريـخ والـديناميات الاجتماعيـة
متنوعـات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علـوي

تنسيـــــــــق :محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

مـنـشــــورات : مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية (LERMA)،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة القاضي عياض، مراكش.

الإيداع القانوني : 2024MO0741

ردمـــــــــــك : 978-9920-8894-0-7

الطـبـعـة الأولى : 2024

الطباعة والإخراج الفني : دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط

دار أبي رقراق للطباعة والنشر
10 شارع العلويين رقم *3*، حسان - الرباط
الهاتف : *83 75 20 37 05* - الفاكس : *89 75 20 37 05*
E-mail : editionsbouregreg2015@gmail.com

ولـد حـسـن حـافـظي علـوي بزاوية أوفوس بإقليم الرشيدية في 24 رجب 1381 هـ/01 يناير 1962م، وتابع دراسته الثانوية بثانوية غريس بگلميمة، ثم التحق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس حيث ناقش دبلوم الدراسات العليا سنة 1989. وفي سنة 2005 حصل على دكتوراه الدولة من جامعة محمد الخامس بالرباط. وتتمحور أبحاثه حول التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بالعالم الإسلامي في « العصر الوسيط »، وتاريخ الأفكار والتقنيات وتاريخ المؤسسات السياسية والاجتماعية.

الفهـــــرس

كلمة السيد عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية 9

كلمة السيد رئيس مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية (LERMA)..... 11

تقديم عام..... 13
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

التعريف بالأستاذ حسن حافظي علوي: مسار باحث حصيف..... 23
البيضاوية بلكامل

الفاعل المسؤول: قراءة في بعض أعمال مجموعة البحث في تاريخ المجال والإنسان بتانسيفت..... 33
محمد الأكلع

المحور الأول: إسهام الأستاذ حسن حافظي علوي في الدراسات الصحراوية

المقاربة المصدرية عند الأستاذ حسن حافظي علوي تجليات الامتداد ومسارات الإمداد... 51
محمد البركة

إعمال التعريفات لتجلية الفروق بين الصحراء والواحات: إسهام في دراسة حيوية المجال المعاشي بالمغرب الوسيط 83
سعيد بنحمادة

فقه البادية والتاريخ في مؤلفات الأستاذ حسن حافظي علوي..... 121
أحمد الصديقي

المحور الثاني: التاريخ والرواية

ما بين الرواية التاريخية والتاريخ من اتصال وانفصال 133
حسن أوريد

المحور الثالث: مصادر جديدة

نصوص تاريخية يمنية عن سلاطين الدولة العلوية مقتبسة من كتاب درر نحور الحور العين بسيرة المنصور علي وأعلام دولته الميامين للطف الله جحاف الصنعاني (ت 1243هـ/1827م)..... 141
عبد السلام محمد أحمد الصباري

أنظار في اختصار كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي 181
الوافي نوحي

المحور الرابع: المذاهب الإسلامية في فجر الإسلام

العبد والمولى في حركات الشيعة من الظهور إلى حركة المختار (38-67هـ/658-687م..... 195
عبد الحميد الفهري
المخاض المذهبي بالمغرب الإسلامي إبان عصري الولاة المشارقة والإمارات المحلية المستقلة..... 213
عبد الهادي البياض

المحور الخامس : نظرات في التاريخ المرابطي

أثر الحضارة الأندلسية في حضارة الغرب المسيحي زمن المرابطين 269
فائزة البوكيلي
الدولة المرابطية المشروع الوحدوي والسياسة الفكرية: مراجعات نقدية 281
أحمد الخاطب

المحور السادس: التصوف والقيم الإنسانية

التصوّف والمجتمع بإفريقيّة والمغرب بين القرنين السّادس والتّاسع للهجرة/الثّانـي عشر والخامس عشر للميلاد 331
محمد حسن
الصلات الصوفية والعلمية بين الزاويتين العياشية والقشاشية : التصوف الحاتمي والفلسفي وغريب المسائل..... 359
عبـد الله نجـمـي
في تاريخية مفهوم الكرامة..... 411
محمد موهوب

المحور السابع: التاريخ وصناعة الذاكرة

تقديس الشخص في الثقافة التركية: من جينكزخان إلى أردوغان 439
عبد الرحيم بنحادة
الثمثلات الخمسة لشخصية الأمير عبد القادر أو تاريخ جينيالوجيا البطولة والرمز 469
الجيلالي العدناني

نصوص تاريخية يمنية عن سلاطين الدولة العلوية مقتبسة من كتاب: درر نحور الحور العين بسيرة المنصور علي وأعلام دولته الميامين للطف الله جحاف الصنعاني (ت 1243هـ/1827م)

عبد السلام محمد أحمد الصباري[*]

مقدمة

تعود العلاقات التاريخية والروابط البشرية والاجتماعية والثقافية بين اليمن والمغرب إلى عهود موغلة في القدم، وتستند على إرث حضاري وثقافي وديني مشترك، حيث لم تنفصم عرى هذه الصلات والروابط بين أهل المشرق وأهل المغرب عموما، على الرغم من التجزئة السياسية والتنوع والاختلاف المذهبي، وتقلبات أحوال الدول وتعاقبها ببلاد الإسلام منذ العصر الوسيط إلى الزمن الراهن، فلم تقف الجغرافيا ولا السياسة ولا المذاهب حائلا دون استمرار التواصل العلمي والثقافي والروحي والاجتماعي بين المغاربة والمشارقة.

وقد توثقت عرى هذه الصلات والروابط بفضل الرحلات إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، والحرص على طلب العلم ولقاء المشايخ والعلماء، للظفر بالأسانيد العالية والإجازات العلمية الرفيعة، وكان لهذه الرحلات دور بارز وهام في تمتين الروابط العلمية والثقافية والفكرية واستمراريتها، ولم تقتصر على أداء الفريضة وطلب العلم، بل كانت وسيلة لكسب الرزق أيضا، أو نتيجة فرار من ظلم، أو طلبا لنشر دعوة سياسية أو مذهبية، أو حبا في الاستطلاع والنزهة لمعرفة البلدان، أو الوفود على السلاطين والأمراء لنيل صلاتهم وجوائزهم، أو غير ذلك من الأسباب.[1]

(*) قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة إب، الجمهورية اليمنية.

(1) عز الدين عمر موسى، «الرحلات الأندلسية والتواصل الحضاري،» ضمن ندوة : **الحضارة الإسلامية في الأندلس ومظاهر التسامح** (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، منشورات مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، ط.1، 2003)، 301-365؛ عبد السلام الصباري محمد، الرحلة العلمية الأندلسية إلى صنعاء اليمن في القرنين 3-4هـ/9-10م، **مجلة مرآة التراث**، تصدر عن مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، العدد 3 (ربيع الأول 1435هـ/يناير 2014م)، 68-89.

في هذا السياق تأتي هذه الإضاءة التاريخية عن علاقات اليمن بالمغرب في العهد العلوي، والموسومة بـ : «نصوص تاريخية يمنية عن سلاطين الدولة العلوية في المغرب الأقصى مقتبسة من كتاب: **درر نحور الحور العين بسيرة المنصور علي وأعلام دولته الميامين.**»[1]التي نهدف من خلالها إلى الوقوف على الأخبار الواردة في هذا الكتاب وغيره من المصادر التاريخية اليمنية عن أحوال المغرب وعلاقاته باليمن في العهد العلوي خلال العصر الحديث، ومعرفة مدى الاهتمام الذي أولاه مؤرخو اليمن لأخبار إخوانهم في المغرب خلال هذه المرحلة، على الرغم من بعد الشقة وصعوبة وسائل المواصلات والاتصال، وبيان أهمية هذه النصوص والأخبار التي احتفظت لنا بها بعض المصادر التاريخية اليمنية في تلك الفترة ومنها كتاب لطف الله جحاف، والكشف عن الإضافة التي يمكن أن تسهم بها هذه النصوص، في بيان طبيعة العلاقات التاريخية الودية بين اليمن والمغرب على المستوى السياسي والعلمي والثقافي والاجتماعي.

ولتحقيق هذه الغاية، استخرجت جميع النصوص المتعلقة بالمغرب في كتاب **الدرر،** سواء ما تعلق منها بذكر السلاطين العلويين وتعاقبهم على الحكم إلى زمن مؤرخنا جحاف، وما قدموه من أعطيات سخية لإخوانهم أئمة الزيدية في اليمن، أو ما يهم العلاقات العلمية والثقافية بين علماء اليمن والمغرب. كما قمت بمقارنة ما ذكره جحاف في كتابه المذكور من أخبار عن المغرب، مع ما جاء في المصادر التاريخية المغربية عن نفس الفترة، للكشف عن مدى قرب أو بعد هذه المعلومات عن الحقائق التاريخية، واتساق أخبارها معها، وأردفت ذلك ببعض التعليقات.

• التعريف بالمؤرخ لطف الله جحاف وبكتابه الدرر

هو الفقيه العلامة الحافظ المؤرخ الفهامة لطف الله بن أحمد بن لطف الله بن أحمد بن هادي بن أحمد بن جابر بن طاهر، ينتهي نسبه إلى جحاف بن مرهبة بن بكيل بن همدان الأكبر،[2] صنعاني المولد والدار والنشأة، ولد في منتصف شعبان سنة 1189هـ/11 أكتوبر 1775م، وعاصر ثلاثة من أئمة الدولة الزيدية القاسمية، وهم : الإمام المنصور علي

(1) لطف الله بن أحمد جحاف، **درر نحور الحور العين بسيرة المنصور علي وأعلام دولته الميامين**، دراسة وتحقيق الدكتور عارف عبد الله الرعوي (صنعاء: إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، 1405هـ/2004م). وهذا الكتاب في الأصل رسالة علمية تقدم بها معدها لنيل درجة الماجستير بقسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة صنعاء- تحت إشراف الأستاذ الدكتور سيد مصطفى سالم.

(2) جحاف، **درر**، 1166-1168؛ وأبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، **كتاب الإكليل، الكتاب العاشر في معارف همدان وأنسابها وعيون أخبارها**، ج. 10، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي (صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، ط. 1، 1410هـ/1990م)، 47، 122 و137.

(1189-1224هـ/1775-1809م) وولده الإمام المتوكل أحمد (1224-1231هـ/1809-1816م)، والذي كان قريبا منه، والإمام المهدي عبد الله (1231-1251هـ/1816 -1835م)، الذي حبس في عهده، وكانت وفاته بصنعاء سنة 1243هـ/1827م.[1]

تتلمذ لطف الله جحاف علي أبرز علماء اليمن في عصره، كالعلامة السيد علي بن إبراهيم بن عامر، والسيد العلامة علي عبد الله الجلال، والعلامة القاسم بن يحيى الخولاني، والسيد العلامة إبراهيم بن عبد القادر، والقاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني وغيرهم.[2]

وكان والده (ت 1223هـ/1808م) من أهل الصلاح والدين المتين والاشتغال بالعبادة مع اطلاع على الأخبار والأشعار،[3] وقام بوظيفة الأذان بالجامع الكبير بصنعاء دهرا طويلا، كما أوكلت إليه مسؤولية خزانة الكتب الموقوفة بهذا الجامع، فطالع مصنفات التصوف والرقائق والتواريخ **كصفوة الصفوة** لأبي الفرج بن الجوزي، و**الإحياء** للإمام الغزالي، ونسخ بخطه الواضح ما يزيد على ستين مجلدا من القطع الكبير الضخم من كتب الحديث وشروحها والتفسير وتواريخ الأمم وكتب الرقائق وغيرها.[4] وكان له يد طولى في علم المواقيت ومعرفة النجوم، وملكة قوية في الطب وعلم التاريخ، وزاحم أكابر العلماء في حفظ أحاديث الأحكام، وقد خرج من صنعاء لأداء فريضة الحج صحبة ولده لطف الله في سنة 1216هـ/1801م.[5]

تتضح لنا مما سبق، البيئة العلمية المشجعة التي عاش فيها مؤرخنا لطف الله جحاف الذي استفاد من دون شك من علوم ومعارف والده، ومن مكتبته الخاصة، ومن إشرافه على خزانة الكتب في الجامع الكبير بصنعاء، مما أهله للإلمام بالعلـوم الشرعيـة والأدبيـة والتاريخية وغيرها.

ونستدل على ذلك بما شهد له به شيخه وأستاذه القاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني حين قال: «وأخذ العلم على جماعة من علماء العصر منهم شيخنا العلامة السيد علي بن إبراهيم بن عامر... وغير هؤلاء من أعيان العلماء، ولازمني دهرا طويلا، فـقـرأ علي في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والحديث، وبرع في هذه المعارف كلها، وصار من أعيان علماء العصر، وهو في نفس سن الشباب، ودرس في فنون، وصنف رسائل أفرد

(1) محمد بن علي الشوكاني، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، تحقيق حسين العمري (دمشق-بيروت: دار الفكر، ط1، 1419هـ/1998م)، ترجمة 392، 579-589؛ جحاف، **درر**، 12-13، 16، 22.

(2) الشوكاني، **البدر**، ترجمة 392، 579-581؛ جحاف، **درر**، 17-18، 21-22.

(3) الشوكاني: **البدر**، ترجمة 392، 587-588.

(4) جحاف، **درر**، 1166-1168.

(5) المصدر نفسه، 1166-1168؛ الشوكاني، **البدر**، ترجمة 392، 587-588.

فيها مسائل، ونظم الشعر الحسن، وغالبه في أعلى طبقات البلاغة، وباحث كثيرا من علماء العصر بمباحث مفيدة... وهو الآن من محاسن العصر... وقد اختص بالوزير العلامة الحسن بن علي حنش... ولم يكن في طلب العلم الآن من له في الرغبة في المذاكرة على الاستمرار ما لصاحب الترجمة.»[1]

وتكمن أهمية ما جاء في كتاب **الدرر** لجحاف، في أنه لم يبدأ بتدوين أخباره إلا بعد أن بلغ شأنا كبيرا في علاقاته السياسية مع أعلى هرم في السلطة باليمن، في أواخر عهد الإمام المنصور الذي أرخ له جحاف بسيرته هذه، وفي عهد خلفه ابنه الإمام المتوكل أحمد، الذي نال منه حظا وافرا، وتمتع بعلاقة وثيقة معه، ومع كبار رجالات الدولة ووزرائها، وكان قد تضلع في العديد من علوم عصره وتمكن منها، ووثق علاقاته واتصالاته مع العديد من أبرز العلماء والفقهاء وأعيانهم في عصره، في داخل اليمن وخارجه، ولا يخفى انعكاس ذلك على إنتاجه العلمي الموسوعي، وقيمة وأهمية ما خلفه لنا من مؤلفات في التاريخ والحديث والفقه والتفسير والأدب.[2]

يبتدئ جحاف حولياته التاريخية في سيرته المنصورية – التي لم يقتصر فيها على تناول الأحداث الداخلية في اليمن بسنة 1189هـ/1775م، ومن حسن طالعه، أنه ولد في هذه السنة التي تولى فيها صاحب سيرته الإمامة في اليمن، وفيها أيضا بلغت الأخبار السعيدة من المغرب إلى اليمن، ببشرى انتصارات السلطان المغربي سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي، على طوائف من ممالك النصارى في الغرب الأقصى.[3] ويؤرخ للفترة الزمنية الممتدة ما بين (1189-1224هـ/1775-1809م) من تاريخ اليمن الحديث، وهي مدة حكم الإمام المنصور، حيث يسرد الأحداث والوقائع ويذكر الوفيات بحسب تعاقب السنين والأعوام، ويدرج في أخباره عن اليمن بعض الأحداث الثمينة التي شهدها العالم الإسلامي، مما تناهى إلى سمعه أو اطلع عليه، ويظهر هذا من قوله في مقدمة كتابه هذا: « ولم أقتصر على حوادث اليمن، ولا حبست التراجم على من بهذا القطر قط.»[4]

• مصادر جحاف في أخباره عن المغرب

يتضح مما تقدم حرص المؤرخ جحاف على الاتصال بمصادر وثيقة ذات مصداقية، وتقصيه للأخبار والتثبت من الروايات التي سمعها أو نقلها، وهذا ما يتضح مما ذكره في

(1) الشوكاني، **البدر**، ترجمة 392، 579-581.

(2) المصدر نفسه، ترجمة 362، 579-581؛ سيد مصطفى سالم، **نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر** (صنعاء: مركز الدراسات اليمنية، ط 2، 1989)، 19، 46، 80؛ جحاف، **درر**، 23-26، 32-34.

(3) جحاف، **درر**، 140.

(4) المصدر نفسه، 131.

مقدمة كتابه حيث يقول: «وذكرت عدة من أهل التهائم والجبال والحرمين والعراقين ومصر والشام والروم والسند والهند والغرب بعد الفحص والتفتيش والبحث الكامل عما حصل فيه التشويش، وقد ألفت كتبا في هذا الشأن فمنها **قرة العين بالرحلة إلى الحرمين**، وهو على صغر حجمه مفيد في أخبار الأمم.»[1]

ولم يكتف مؤرخنا بالاستفادة من العلماء الموجودين باليمن، بل حرص على الأخذ من غيرهم، في أثناء حجه صحبة والده سنة 1216هـ/1801م، حيث التقى بالعديد من العلماء، وعلى رأسهم إمام الحرمين الشيخ العالم الحافظ الحجة المسند صالح بن محمد الفلاني المغربي، وقد حلاه بالعالم العامل الحافظ الذي: «يعرف الفنون أجمعها.»[2]

وكان الصالح بن محمد الفلاني، إمام الحرمين، من أهم مصادر مؤرخنا جحاف في بعض ما نقله من أخبار عن المغرب.[3] وفي المقابل أسهم المؤرخ جحاف في نشر مؤلفات شيخه هذا في أوساط العلماء باليمن، لاسيما رسالته المسماة بـ : **إيقاظ ذوي الهمم والأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار**.[4] كما روى بعض أخباره عن المغرب عن بعض المغاربة الذين التقى بهم في الحجاز أثناء حجه.[5]

وكان جحاف قد التقى قبل ذلك في صنعاء بأحد المغاربة فروى عنه بعض الأخبار. يقول في معرض حديثه عن وقائع سنة 1211هـ/1796م ما نصه: «وفيها ورد الشيخ محمد البناني من مكة إلى صنعاء وخرج بكتاب من حضرة جارالله إبراهيم بن محمد الأمير - عليه رحمة القدير- إلى الوزير الحسن بن علي حنش يطلب منه إيصاله بما تركه أحمد ابن عمه من الميراث، وقرر إبراهيم بن محمد الأمير اتصال نسبه بالميت،»[6] ثم يضيف: «وكان المترجم له قد سكن الغرب الأقصى، وتردد إلى الحرمين الشريفين، مع حذق ودهاء مفرط وحافظة صالحة. ولما رأى أهل اليمن لا معرفة لهم بأهل المغرب واجههم بحسن صناعته، وقرر في قلوبهم حسن بلاغته، فأملى بمواقف الأكابر من أرباب الدولة،»[7] إلى أن قال: «وحدث عن الغرب وأهله بأخبار اضطربنا فيها، ولكن تؤيدنا بما أتينا منها على أخبار دولة الغرب وأحوالها

(1) المصدر نفسه، 131-132.
(2) المصدر نفسه، 848، 21.
(3) المصدر نفسه، 848.
(4) المصدر نفسه، 848-849.
(5) المصدر نفسه، 140.
(6) المصدر نفسه، 646.
(7) المصدر نفسه.

في كتابنا **قرة العين بالرحلة إلى الحرمين**، فأغنى عن ذلك.»[1] كما روى بعض أخباره عن مغربي آخر وفد إلى صنعاء في سنة 1224هـ/1809م، وهذا ما يتضح من قوله : «ونقلنا في ذلك خبرا وافق حديث أولئك عن السيد محمد بن حسن المغربي النازل بصنعاء عام أربعة وعشرين فاتفق الجميع.»[2]

ولبيان أهمية كتاب **الدرر**، سوف أعمل فيما سيأتي على رصد كافة المعلومات التي أوردها جحاف في هذا الكتاب عن أخبار المغرب والسلاطين العلويين، وعلاقتهم بأئمة الزيدية في اليمن.

- **تعاقب السلاطين العلويين على الحكم إلى عهد السلطان المولى سليمان**

روى جحاف في تأريخه لحوادث سنة 1189هـ/1775م ما نصه : «وفيها بلغت الأخبار عن مولاي محمد بن عبد الله السعيدي الهاشمي الإدريسي صاحب الغرب بخروجه إلى ديار الكفرة لمصادرتهم، وكانت إذ ذاك قد خرجت عليه طوائف من النصارى الساكنين بجبل طرّ بطاء مهملة مفتوحة فراء مهملة مشدودة، وهي أقصى محلة بها إحدى ممالكهم، وذلك قبل اصطلاحهم معه، وأخذ عليهم مراكب بحرية، وبها من الأموال شيء لا يحصى، وهذه الدولة للأدارسة بالغرب، قريبة التملك والاستيلاء ولم نر أحدا ترجم رجلا من رجالها، فإن غاية ما نقله أهل العناية بالتاريخ أن ذكروا بني مرين، وانقطع علم المتطلعين باليمن عن المعرفة بحقيقة أولئك، وكنت أهم أن أكتب إلى الحرمين الشريفين للسؤال عن أحوال من بالغرب، والاستفصال عن ما هم عليه، ومن أي عام ملكوا ذلك المحل، وكيف عادت لهم به الدول.»[3]

يتضح من هذا النص مدى اهتمام مؤرخنا جحاف بأخبار المغرب وسلاطين الدولة العلوية، حيث يبتدئ بسنة 1189هـ/1775م، وهي سنة ولادته وسنة تولية المنصور علي الإمامة باليمن، ثم يتتبع بعد ذلك السيرة المنصورية على تعاقب السنين والأعوام، فيذكر ما جرى في كل سنة من الوقائع والأحداث ووفيات العلماء والأدباء والشعراء ورجال الدولة، ويترجم لكثير منهم بتراجم وافية غنية، مع استطرادات كثيرة اشتملت على مادة أدبية من شعر ومحاورات أدبية، تنم عن ذوق عال، سيما أنه كان أديبا وشاعرا محسنا بليغا وعالما ومؤرخا، فأفادنا بذلك في الوقوف على النشاط الفكري والإبداع الأدبي في عصره.[4]

(1) المصدر نفسه، 848.
(2) المصدر نفسه، 140.
(3) المصدر نفسه.
(4) المصدر نفسه، 7.

وقد أشار جحاف في هذا النص إلى ورود أخبار بانتصارات مولاي محمد بن عبد الله السعيدي الهاشمي الإدريسي، سلطان المغرب، على مراكب النصارى بجبل طرّ سنة 1189هـ/1775م، والمقصود بجبل طرّ هنا هو جبل طارق الذي يعرف بهذا الاسم عند العامة تحريفا لاسمه الإنجليزي «جبرلطار» (Gibraltar). أما السلطان، فهو سيدي محمد بن عبد الله (1117-1204هـ/1757-1790م)، الذي أشار الناصري إلى ولعه: «بأمر البحر والجهاد فيه فلم تزل قراصينه تتردد في أكناف البحر وتجوس خلال ثغور الكفر فتقتل وتأسر وتغنم وتسبي وكاد يستأصل جمهورهم حكم القضاء، فمنهم من فزع إلى طلب المهادنة وحسن الجوار ومنهم من تطاول... ومن هذا القسم الثاني جنس الفرنسيس، فإن قراصين السلطان رحمه الله كانت قد غنمت منه مركبا ساقته إلى مرسى العرائش، وغنمت منه غير ذلك مرات متعددة، فدعاه ذلك إلى أن هجم على ثغر سلا... وفر هاربا مهزوما ... ثم هجم على ثغر العرائش... فحرقوا سفينة منها وهي التي غنمها المسلمون منهم... رماهم المسلمون بالرصاص... فاستاقوا أحد عشر قاربا ونجا أربعة، وتقسمهم المسلمون بين قتيل وأسير... فاجتمع منهم نحو الخمسين فبقوا في الأسر إلى أن توسط في فدائهم طاغية الإصبنيول ففدوا بمال له بال،»[5] إلى أن قال: «وبعد هذا وقع الصلح مع جنس الفرنسيس وانعقدت الشروط معه...بعث أيضا السلطان الرئيس أبا الحسن عليا مارسيل الرباطي إلى بلاد الفرنسيس لتقرير الصلح معهم، وقبض مال أسارى العرائش وشراء الإقامة منه، فبذلوا المال والإقامة معا طائعين.»[6]

وقد أعاب جحاف في النص الوارد أعلاه على مؤرخي اليمن عدم اهتمامهم بأخبار الدولة العلوية في المغرب، وأشار إلى انقطاع أخبار المغرب عن أهل اليمن، حتى إنه فكر في المكاتبة إلى الحرمين الشريفين للسؤال والاستقصاء عن أحوال المغرب.[7] لأن بالحرمين الشريفين يلتقي المسلمون من مختلف بقاع الأرض، وفيهما يتم تناقل الأخبار وأخذ العلم والأسانيد والروايات والإجازات والكتب.

لذا وجد مؤرخنا ضالته في الرحلة إلى الديار المقدسة، وفي هذا يقول: «فقدر الله أن حججنا البلدة الحرام، ولاقينا كثيرا من الأعلام، ونقلنا أخبار الأمم، وأودعنا ذلك بطن كتابنا الموسوم بـ **قرة العين بالرحلة إلى الحرمين** فنقلنا فيه عن أهل الغرب ومصادرتهم لمن يليهم من الكفار ما يبهر ولنلم بذكر أولهم تسلطا هذا الزمن الأخير بالغرب. فنقلنا بعض الأخبار عن

(5) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج. 8، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري (الدار البيضاء: دار الكتاب، 1418هـ/1997م)، 21-22.

(6) المصدر نفسه، ج. 8، 24-25.

(7) جحاف، **درر**، 140.

الأستاذ إمام الحرمين شيخنا الصالح بن محمد الفلاني، وبعض الخبر عن جماعة من المغاربة دخل حديث بعضهم في بعض، ونقلنا في ذلك خبرا وافق حديث أولئك عن السيد محمد بن حسن المغربي النازل بصنعاء عام أربعة وعشرين – يعني ومائتين ألف- فاتفق الجميع على أن أول ملوك الأدارسة زمننا هذا محمد الرشيد.»[1]

وقد وهم مؤرخنا هنا حين نسب السلاطين العلويين إلى الأدارسة، وسمى السلطان محمد بن عبد الله بالسعيدي الهاشمي الإدريسي. مع العلم بأن الأدارسة ينتسبون إلى إدريس بن عبدالله بن الحسن، وأن العلويين ينتسبون إلى أخيه محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن، وأن دولة الأدارسة قامت بالمغرب الأقصى في القرن الهجري الثاني، بينما عاصر جحاف بعض ملوك الدولة العلوية. ولعل مرد هذا الخلط إلى أن قيام الدولة الإدريسية وتأسيسها لمدينة فاس، قد ترك أثرا وصدى واسعا بالمشرق الإسلامي،[2] وظل عالقا في الأذهان، لاسيما عند مؤرخي أئمة الزيدية المتأخرين في اليمن، الذين ظلوا يتناقلون أخبار الأدارسة في كتبهم وسير أئمتهم، إذ اعتبروهم من أئمة الزيدية ورجالهم.[3]

وهكذا تسرب هذا الخطأ إلى كتاب مؤرخنا جحاف، كرجع صدى لما تناقله المتقدمون والمتأخرون من الزيدية في كتبهم عن الأدارسة، فساوره الاعتقاد بأن السلاطين العلويين ينتسبون إليهم ويمثلون امتدادا لدولتهم، علاوة على ما نستشفه من قوله: «وهذه الدولة للأدارسة بالغرب، قريبة التملك والاستيلاء،» إلى أن قال: «والاستفصال عن ما هم عليه ومن أي عام ملكوا ذلك المحل، وكيف عادت لهم به الدولة.»[4] مما يؤكد أنه ربط بين دولة الأدارسة

---

(1) جحاف، **درر**، 141.

(2) عبد السلام الصباري، **الغرب الإسلامي والخلافة العباسية إلى نهاية القرن 5هـ/11م، دراسة في العلاقات السياسية والتأثيرات الفكرية**، أطروحة دكتوراه مرقونة (الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس-أگدال، السنة الجامعية 2009/2008م)، 217 -271.

(3) من كتب وطبقات الزيدية التي تحدثت عن الأدارسة: علي بن بلال الآملي (عاش في القرن 4هـ/10م)، **المصابيح وتتممته**، تحقيق عبدالله الحوثي (عَمَّان: منشورات مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط2، 1423هـ/2002م)، 413، ونشر جزء منه ملحق بكتاب **أخبار فخ وخبر يحيي بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله (انتشار الحركة الزيدية في اليمن والمغرب والديلم**، لأحمد بن سهل الرازي (المتوفي في الربع الأول من القرن الرابع)، تحقيق ماهر جرار (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1995)، 327-328؛ حميد بن أحمد بن محمد المحلي (ت 652هـ/1254م)، **الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية**، تحقيق المرتضى بن زيد المحطوري (صنعاء: مكتبة مركز بدر العلمي، ط.1، 1423هـ/2002م)، 507-510؛ محمد بن علي الزحيف الصعدي (ت 918هـ/1512م)، **مآثر الأبرار في تفصيل مجملات الأخبار**، ويسمى **اللواحق الندية بالحدائق الوردية**، ج. 1، تحقيق عبد السلام الوجيه وخالد المتوكل (صنعاء: منشورات مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ط.1، 1423هـ/2002م)، 463-464؛ مجد الدين محمد بن منصور المؤيدي (ت. 1428هـ/2007م)، **التحف شرح الزلف**، وهو كتاب تراجم لأئمة الزيدية وعلمائهم إلى وقته (صنعاء: مكتبة مركز بدر العلمي، ط. 3، 1417هـ/1997م)، 140-143.

(4) جحاف، **درر**، 140.

والدولة العلوية، واعتبر قيام هذه الدولة الأخيرة عودة ثانية لدولة الأدارسة بعد انقراضها مدة طويلة من الدهر.

ولم يكن جحاف هو الوحيد الذي وقع في هذا الوهم، بل شاركه فيه إمام اليمن المؤيد بالله محمد بن القاسم (ت 1054هـ/1644م)، في رسالته التي بعث بها إلى آل البيت في المغرب ومما جاء فيها: «كتابنا هذا إلى إخواننا وبني أبينا صفوة العترة وخير الأسرة وإخوانهم وبني عمهم من آل الإمام الأعظم إدريس بن عبدالله.» إلى أن قال : «وغيرهم من أهل بيتهم الذين أشار إليهم جدكم الإمام الأعظم إدريس بن عبدالله سلام الله عليه في رسالته إلى أهل مصر.»[1]

وكان الإمام المؤيد قد كتب هذه الرسالة التي دعا فيها أهل المغرب إلى مبايعته والالتفاف حول آل البيت، بعد أن قدم عليه الأمير السفير الطاهر بن عبدالله سنة 1048هـ/1638م، يشكو ابن عمه ملك المغرب، ويطلب العون والمؤازرة، وكان المغرب حينها يعيش فترة من الاضطرابات والتفكك، وتجاذب قوى متعددة داخلية وخارجية في أواخر عهد السعديين.[2] فكتب إليه الإمام المؤيد هذه الرسالة، ونسبه فيها إلى الأدارسة مع أن الشرفاء السعديين الذين كانوا يحكمون المغرب آنئذ لا ينتسبون إلى الأدارسة.

ويتضح من هذا أن أئمة الزيدية، كانوا يعتبرون كل شرفاء المغرب من السعديين والعلويين وغيرهم، من الأدارسة، وأنهم كانوا يجهلون كل شيء عن هجرة الشريف الحسن الداخل بن القاسم، جد السلاطين العلويين، من ينبع النخيل بالحجاز إلى واحة تافيلالت بالمغرب الأقصى في القرن 7هـ/13م،[3] حيث لا نجد لهذا الخبر أي ذكر عند مؤرخي الزيدية المتقدمين والمتأخرين، على الرغم من العلاقات الوثيقة التي جمعت بين أئمة الزيدية في اليمن

---

(1) مطهر بن محمد الجرموزي (ت 1076هـ/1666م)، **الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة**، وهو كتاب سيرة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم ت 1054هـ/1644م، مخطوط صنعاء: دار المخطوطات، صنعاء - اليمن، ميكروفيلم، صفحة: 244-247.

(2) عبد الهادي التازي، «إدريس الأكبر فاتح المغرب،» **مجلة المناهل**، تصدرها وزارة الشؤون الثقافية، الرباط-المغرب، العدد11، السنة الخامسة (ربيع أول 1398هـ/1978م): 105-120.

(3) محمد الصغير الإفراني، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط.1، 1419هـ/1998م)، 410-411؛ أبو محمد سيدي الشرقي بن محمد الإسحاقي، **رحلة الوزير الإسحاقي الحجازية**، ج. 1، دراسة وتحقيق محمد الأندلسي (المحمدية: فضالة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، 1438هـ/2017م)، 214-218، وج. 2، 486-487، الناصري، **الاستقصا**، ج. 7، 3-6؛ حسن حافظي علوي، **سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي** (المحمدية: فضالة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، 1418هـ/1997م)، 141-142، 151، 162-164؛ محمد المنوني، **ركب الحاج المغربي** (تطوان: مطبعة المخزن، منشورات معهد مولاي الحسن، 1953)، 33.

وسلاطين الدولة العلوية في المغرب، والتي أورد جحاف بعض أخبارها في كتابه **الدرر** كما سنرى.

لكن الأمر المستغرب من مؤرخنا جحاف، هو عدم تصحيحه لهذا الخطأ والوهم، بعد التقائه بمصادره المغربية الموثوقة والمتعددة، وحرصه على إرجاع نسب العلويين إلى الأدارسة، وكأن هذا الخبر هو في حكم اليقين لديه، حيث أورده مرارا وتكرارا في أخباره عن المغرب، هذا مع ما اتصف به من دقة في البحث والتحري، ومن سعة اطلاع وقدرة على الحفظ والفهم، فضلا عن علاقاته القوية بمراكز السلطة ورجال الدولة، وغير ذلك مما شهد له به أستاذه الشوكاني.[1]

يبتدئ المؤرخ جحاف أخبار العلويين بقول: «فاتفق الجميع على أن أول ملوك الأدارسة زمننا هذا محمد الرشيد، وكان ظهوره ببلاد أجريد، وسار عنها، فامتدت مملكته من تلمسان إلى الساقية الحمراء، بقي بالمملكة سبع سنين. وقام بالأمر من بعده إسماعيل السيد وعليه كثر الاختلاف، وظهرت الفتوق بالأطراف، فاشتد، وأظهر غلظة وجبروتا، وسفك الدماء وصفد الأعداء، ودفنهم أحياء، وكان أول ظهور الاختلاف عليه بفاس فنزل عليها محاصرا، فافتتحها، ودخلها، فاستقر بها أياما يدبر أمر الغرب، ثم سار إلى المدينة الحمراء فتسلمها، وجاءه بها خبر بتَضَرُّب أحوال مراكش فسار إليها، فحاصرها ثمانية أشهر ثم دخلها عنوة في يوم خميس أو جمعة، وأطلق السيف بها ثلاثا، ففني تحت السيف خلق لا يحصون ثم هدم شيئا من قصورها ودورها وسورها، وأقام عنه بها خليفة، وسار عنها إلى فاس، فبقي بها أياما، واشتغل بمصاولة البداوة من العرب المسلمين وتكلم الناس في شأن مدينة سوس وأعمالها، فسار إليها فتسلمها، وبقي بها أياما قلائل تجهز فيها إلى تلمسان، وقد غلب عليها العدو من الترك، فحاربهم يوما كاملا، فأذهب بالسيف خلائق، وكانت الدائرة عليهم وتسلمها، وسار عنها يطوي البلاد، ويصول على أهل الأغوار والأنجاد، فاستشار الناس هنالك أيّ مذهب يؤمه من تلك الممالك، فوقعت المشورة على بلاد جزائر فدخلها، وبقي أياما بها، وتواطأت له ممالك الغرب الأدنى، وتحدث عن الغرب الأقصى فسالمته ملوك النصارى من النمسة بنون مكسورة فميم ساكنة بعدها سين مهملة والدوبر بمهملة وموحدة بينهما واو ساكنة آخره مهملة، والفلمك بكسر الفاء واللام بعدها ميم مشددة، والسبنيول بفتح المهملة والموحدة فنون ساكنة بعدها تحتية، فواو ساكنة آخره لام.»[2]

(1) الشوكاني، **البدر**، الترجمة 392، 579-581؛ مصطفى سالم، **نصوص يمنية**، 18-19؛ جحاف، **درر** ، 24.
(2) جحاف، **درر**، 140-143.

وبهذا يكون جحاف قد ابتدأ تأريخه للسلاطين العلويين بالسلطان المولى الرشيد (1075-1082هـ/1666-1672م)، ويسميه محمد الرشيد، وهو عنده أول ملوكهم ومؤسس دولتهم، مع أنه ملك بعد أخيه المولى محمد بن الشريف (1049-1075هـ/1640-1664م). ولعل مرد ذلك إلى اقتصار نفوذ المولى محمد بن الشريف على سجلماسة، وعدم تمام أمر المملكة له إلى أن لقي حتفه على يد أخيه المولى الرشيد،[1] وإلى أن هذا الأخير يعد بالفعل، أول السلاطين العظام من العلويين، والمؤسس الفعلي لدولتهم، إذ إليه يرجع الفضل في استعادة وحدة المغرب بعد الفترة الطويلة من التفكك والضعف والفتن والصراعات، التي أعقبت وفاة السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي (ت 1012هـ/1603م).[2]

والملاحظ أن جحاف يؤرخ لعهد المولى الرشيد باقتضاب شديد، ويشير إلى انطلاق دعوته ببلاد الجريد، وامتدادها لتشمل المغرب كله من تلمسان في الشمال الشرقي إلى الساقية الحمراء في الجنوب الغربي. ويتفق ما ذكره مع ما جاء في نزهة الحادي لمحمد الصغير الإفراني (كان حيا سنة 1154هـ/1741م)، الذي يعتبر من أهم وأقدم وأوثق المصادر المغربية التي أرخت للدولة العلوية في بدايتها، وهذا نص كلامه: «ثار السلطان الأفخم مولانا الرشيد بن مولاي الشريف ببلاد الجريد،»[3] إلى أن قال: «فتمهدت له البلاد من تلمسان إلى وادي نون من تخوم الصحراء.»[4]

وقد انفرد مؤرخنا جحاف بذكره للساقية الحمراء كحد لامتداد مملكة السلطان المؤسس المولى الرشيد، في الجنوب الغربي للمغرب، وهو ما لم يذكره الإفراني ومن تبعه من مؤرخي المغرب للعهد العلوي الأول، مما يضفي أهمية وقيمة على هذه الإضاءات التاريخية المقتضبة، التي زودنا بها هذا المؤرخ الثقة المعروف بمصداقيته وأمانته العلمية في نقوله وتثبته من رواياته.

هذا وقد حدد جحاف مدة حكم المولى الرشيد في سبع سنين، وهو محق في ذلك، ويتفق مع ما جاء عند الإفراني في **النزهة**، والناصري في **الاستقصا**، وغيرهما من المؤرخين المغاربة، الذين يجمعون على أن المولى الرشيد بن الشريف العلوي، استولى على حكم المغرب، بعد القضاء على أخيه المولى محمد في 2 محرم من سنة 1075هـ/25 يوليوز 1666م، واستمر على

(1) الإفراني، **نزهة**، 425-426؛ الناصري، **الاستقصا**، ج.7، 15-16، 29-31، روى الناصري، ما نصه: «ولما قتل المولى محمد بن الشريف... فبايعوه البيعة العامة...ثم صار على أثرهم قاصدا فتح المغرب الذي كان قد تعذر على أخيه من قبله.» الناصري، **الاستقصا**، ج. 7، 32.

(2) عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، ج. 3 (بيروت-الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط. 5، 1996)، 79-81.

(3) الإفراني، **نزهة**، 404.

(4) المصدر نفسه، 421.

ذلك إلى أن توفي بمراكش في ذي الحجة من سنة 1082هـ/أبريل 1672م.[1]

وبالعودة إلى النص الوارد أعلاه، نلاحظ أن جحافا زودنا بأخبار عن السلطان المولى إسماعيل، أكثر تفصيلا وأهمية مقارنة مع ما أورده عن أخيه السلطان المولى الرشيد، وقد حلاه بالسيد، وهذه الصفة لها دلالتها في عرف أهل اليمن، وتطلق على من يتصل نسبه بآل علي من فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، إذ السيد عندهم هو الشريف عند أهل المغرب. ثم أشار إلى كثرة المناوئين له في مستهل حكمه، وشدد على حنكته ودهائه وشدته وحزمه، ومباشرته للحروب بنفسه، وقسوته وجبروته في التعامل مع أعدائه وخصومه والثائرين عليه، ونجاحه في إخماد جميع الثورات التي قامت عليه.

ويتفق هذا مع ما جاء عند محمد الصغير الإفراني، مؤرخ الدولة الإسماعيلية، الذي قال: «ولما تمت له البيعة، نهض بأعباء الخلافة وأحسن السيرة وضبط الأمور كلها، وتمهدت له البلاد، ودان له قريبها وبعيدها بعد محاربة طويلة ومنازلات عديدة مع الثوار،»[2] إلى أن قال : «ولم يزل رحمه الله في مقاتلة أعدائه من الثوار والعاصين من القبائل إلى أن دوخ بلاد المغرب كلها وطوعها وعرها وسهلها، واستولى على السودان....» وبلغ في ذلك ما لم يبلغه أحد قبله. وامتدت دولته من جهة الشرق إلى قرب بلاد بسكرة من بلاد الجريد ونـواحي تلمسان.[3]

ولعل ذلك ما أشار إليه جحاف حول دخول السلطان إسماعيل تلمسان عنوة، بعد تغلبه على الأتراك بها، وتوغله في البلاد الجزائرية نحو بلاد الجريد وبسكرة في الوسط القبلي للجزائر، وبقائه بها مدة، حتى تواطأت له ممالك الغرب الأدنى، وربما قصد بذلك مسالمة بايات الترك له، وسعيهم للصلح معه، بعد اجتياحه لمجال نفوذهم قصد كف عاديتهم عنه وإجبارهم على التخلي عن دعم بعض الثائرين عليه، كالخضر غيلان الذي انتهت ثورته بمقتله على يد المولى إسماعيل.[4]

ونتوفر على تفاصيل أوفى عن هذه الحوادث عند الناصري في **الاستقصا**، الذي قال في معرض حديثه عن سنة 1189هـ/1775م: «ثم غزا أمير المؤمنين المولى إسماعيل رحمه الله بلاد الشرق فترك تلمسان عن يساره، وأصحر في ناحية القبلة فوفدت عليه هنالك وفود العرب... فسار بهم... فخرج جيش الترك مع ثغر الجزائر بقضهم وقضيضهم... وكاتبه الترك في أن يتخلى

(1) المصدر نفسه، 421، 428؛ العروي، **مجمل**، ج. 3، 81.
(2) الإفراني، **نزهة**، 429.
(3) المصدر نفسه، 430.
(4) الناصري، **الاستقصا**، ج. 7؛ 47-48؛ العروي، **مجمل**، ج. 3، 86-87.

لهم عن بلادهم ويقف عند حد إسلافه ومن كان قبلهم من ملوك الدولة السعدية فإنهم ما زاحموهم قط على بلادهم... فوقع الصلح على ذلك.»[1]

ويتحفنا مؤرخنا جحاف ببعض الأخبار والروايات الهامة والدقيقة عن المولى إسماعيل العلوي، ومن ذلك ما ذكره حول ثورة أهل فاس في مستهل الحكم الإسماعيلي، حين قال: «وكان أول ظهور الاختلاف عليه بفاس فنزل عليها محاصرا، فافتتحها، ودخلها، فاستقر بها أياما يدبر أمر الغرب.»[2]

ويتفق مؤرخنا هنا، بصورة جلية مع ما جاء عند الإفراني في **النزهة** ونصه: «وشق عليه أهل فاس العصا، فحاصرهم مدة من خمسة عشر شهرا إلى أن أتوه مذعنين في التاسع عشر من رجب عام أربعة وثمانين.»[3] وقال الناصري في هذا الشأن: «وكان عازما على غزو بلاد الصحراء، فلم يرعه إلا الخبر بأن أهل فاس انتفضوا وقتلوا قائد الجيش...وكان مقتله ليلة الجمعة ثاني جمادى الأولى من السنة -1083هـ- فزحف السلطان إليهم وحاصرهم واستمر القتال بينه وبينهم أياما...وحاصر أهل فاس وطاولهم ولم يحدث معهم حربا إلى أن أذعنوا إلى الطاعة... وذلك في سابع عشر رجب سنة أربع وثمانين وألف، فكانت مدة انتفاضهم أربعة عشر شهرا وثمانية عشر يوما.»[4]

يتضح مما سبق، أن ثورة أهل فاس على السلطان إسماعيل، انطلقت ولم يمض عليه في الحكم سوى أربعة أشهر وسبعة عشر يوما، إذ تمت بيعته يوم الأربعاء سادس عشر من ذي الحجة متم عام 1083هـ/4 أبريل 1673م، وقام أهل فاس بالثورة عليه في ثاني جمادى الأول من سنة 1083هـ/13 غشت 1673م، وهذا يؤكد ما ذكره جحاف من أن ثورة فاس تمثل أول الثورات ضد السلطان إسماعيل، مما يرجح صحة الروايات القائلة بأن بيعته تمت في مدينة مكناسة، وليس في مدينة فاس، كما سنرى.

فقد تضاربت الروايات حول مكان بيعة المولى إسماعيل بعد تلقيه خبر وفاة أخيه المولى الرشيد بمراكش، فذهب الإفراني إلى أن خبر وفاة المولى الرشيد بلغ المولى إسماعيل وهو بفاس الجديدة، حيث كان خليفة ونائبا عن أخيه السلطان، فتمت له البيعة من علمائها وأعيانها وصلحائها،[5] في حين أورد الناصري رواية أخرى مخالفة، نقلا عن **البستان**، جاء فيها : «لما توفي

(1) المصدر نفسه، ج. 7، 59-60.
(2) جحاف، **درر**، 141.
(3) الإفراني، **نزهة**، 430.
(4) الناصري، **الاستقصا**، ج. 7، 47-48.
(5) الإفراني، **نزهة**، 429.

المولى الرشيد... كان أخوه المولى إسماعيل بمكناسة الزيتون خليفة على بلاد الغرب، فبلغه خبر موته فاجتمع الناس عليه وبايعوه واتفقت كلمتهم عليه، ثم قدم عليه أعيان فاس وأعلامها وأشرافها ببيعتهم، وقدم عليه أهل بلاد الغرب من الحواضر والبوادي...إلا مراكش وأعمالها فإنه لم يأت منها أحد، فجلس رحمه الله للوفود، إلى أن فرغ من شأنهم ورتب أموره بمكناسة وعزم على السكنى بها إذ كان لا يبغي بها بدلا حيث أعجبه ماؤها وهواؤها.»[1]

لم يتطرق جحاف إلى ما ذهبت إليه الروايتان، حول تحديد مكان بيعة المولى إسماعيل، ولم يمدنا بتاريخ في هذا الموضوع، لكننا نستوحي من روايته، أن هذا السلطان قدم على فاس من مكان ما، حيث قال: «فنزل عليها محاصرا.» وهذا ما ينفي رواية الإفراني القائلة بأن السلطان إسماعيل، كان بفاس، وأن البيعة تمت له بها، ويعزز رواية الناصري التي نقلها عن الزياني في **البستان**، والقائلة بمبايعته في مكناسة.

ونفهم من رواية جحاف أن السلطان إسماعيل قد توجه بعد قضائه على ثورة أهل فاس إلى المدينة الحمراء «فتسلمها وجاءه بها خبر بتَضَرُّب أحوال مراكش، فسار إليها.»[2] ويستفاد من هذه الرواية أن السلطان أقام بالمدينة الحمراء قبل توجهه إلى مراكش، فما المقصود بالمدينة الحمراء؟

من الواضح أن جحاف يتحدث في النص الوارد أعلاه عن مدينتين مختلفتين، الأولى هي المدينة الحمراء التي أقام بها السلطان بعد رجوعه من إخماد ثورة فاس، فوردت عليه بها أخبار تَضَرُّب مدينة مراكش، ما يعني أن المدينة الحمراء ليست هي مراكش، وأن الأمر يتعلق بمدينتين مختلفتين، خلافا لما هو شائع وعالق في الأذهان، من أن مراكش هي المدينة الحمراء، وهو ما تبادر إلى ذهننا لأول وهلة. لكن بالرجوع إلى ما جاء عند الإفراني في **النزهة**، والناصري في **الاستقصا**، فإننا لم نجد أي ذكر للمدينة الحمراء. وبما أن جحاف لا يذكر مدينة مكناسة، عاصمة المولى إسماعيل، فذلك يعني أنها هي المقصودة بالمدينة الحمراء في كلامه. خاصة وأن ما يذكره عن المدينة الحمراء، يتوافق مع ما يذكره الناصري عن مدينة مكناسة التي اختصت: «بطيب التربة وعذوبة الماء وصحة الهواء...فلما كانت بهذه المثابة كان أمير المؤمنين المولى إسماعيل رحمه الله لا يبغي بها بدلا، فلما فرغ من أمر فاس رجع إليها وشرع في بناء قصوره بها وأسس المسجد الأعظم بداخل القصبة مجاورا لقصر النصر الذي كان أسسه في دولة أخيه المولى الرشيد.»[3]

---

(1) الناصري، **الاستقصا**، ج. 7، 45، وقد أورد رواية الإفراني المشار إليها أعلاه بنفس الصفحة.

(2) جحاف، **درر**، 141.

(3) الناصري، **الاستقصا**، ج. 7، 48-49.

وعلى هذا يكون السلطان المولى إسماعيل قد عاد إلى المدينة الحمراء، أي إلى مكناسة، بعد قضائه على ثورة فاس، ثم غادرها في اتجاه مراكش فحاصرها ثمانية أشهر إلى أن دخلها عنوة في يوم خميس أو في يوم جمعة،»[1] حسب رواية جحاف. وفي هذا الصدد يقول الناصري: «ثم دخلت سنة خمس وثمانين وألف، فيها ورد الخبر على السلطان المولى إسماعيل وهو بمكناسة بدخول ابن أخيه المولى أحمد بن محرز مراكش واستيلائه عليها.»[2] ويضيف «فتبعه السلطان المولى إسماعيل، وألقى بكلكله على مراكش أوائل سنة ست وثمانين ومائة وألف...واستمر السلطان محاصرا لمراكش إلى ربيع الثاني من سنة سبع وثمانين وألف فشدد الحصار.»[3]

ويصف جحاف قسوة السلطان إسماعيل بعد دخوله مراكش عنوة، بقوله: «وأطلق السيف بها ثلاثا، ففني تحت السيف خلق لا يحصون ثم هدم شيئا من قصورها ودورها وسورها، وأقام عنه بها خليفة، وسار عنها إلى فاس.»[4] وفي هذا يقول الناصري: «فوقع قتال عظيم مات فيه من الفريقين ما لا يحصى...ثم تمادى الحصار إلى ثاني ربيع الثاني من سنة ثمان وثمانين وألف...ودخل السلطان المولى إسماعيل المدينة عنوة، فاستباحها وقتل سبعة من رؤسائها وكحل ثلاثين منهم وهدأت الفتنة وذهبت أيام المحنة.»[5]

وتجدر الإشارة إلى أن جحاف ذكر المدينة الحمراء في أكثر من مناسبة، كما ذكر مدينة مراكش أيضا، إلا أنه ميز بينهما، وذلك في معرض حديثه عن خليفة مولاي إسماعيل حين قال: «وقام بالأمر من بعده أحمد الصغير...فمات وقبر بالمدينة الحمراء.»[6] وذكرها مرة أخرى، حين أشار إلى مقتل المولى اليزيد بن محمد بن عبد الله، قائلا: «قام بالأمر من بعده ولده اليزيد...وعارضه أخوه هشام، ثم قتله بمراكش، والأكثر على أنه قتله بالمدينة الحمراء.»[7] بينما أشار الناصري إلى أن المولى يزيد قتل في معركة مع أخيه هشام بمراكش، ودفن بقبور الأشراف قبلي جامع المنصور من قصبة مراكش.[8]

---

(1) جحاف، **درر**، 141.
(2) الناصري، **الاستقصا**، ج. 7، 49.
(3) المصدر نفسه، ج. 7، 50.
(4) جحاف: **الدرر**، ص 141.
(5) الناصري، **الاستقصا**، ج. 7، 50.
(6) جحاف، **درر**، 142.
(7) المصدر نفسه.
(8) الناصري، **الاستقصا**، ج. 7، 82-83.

وقد أنهى جحاف روايته عن المولى إسماعيل، بالحديث عن مسالمة ومهادنة ممالك الغرب الأقصى له، ويعني بذلك دول الغرب الأوروبي من النصارى الذين عددهم في روايته، وهم : النمسة والدوبر والفلمك والسبنيول، وذكر أنهم كانوا يبعثون إليه بالهدايا والتحف بمختلف أنواعها، وتنبئ روايته بالقوة والهيبة التي بلغتها الدولة المغربية في العهد الإسماعيلي، الذي تمت فيه استعادة الموانئ والمراسي على امتداد الساحل الأطلنتي المغربي.[1]

إلا أن جحاف وقع في خطأ تحديد مكان وفاة السلطان المولى إسماعيل حين ذكر أنه «مات بجزائر، وقبر بها كما سبقت الإشارة»[2] وهذا لا يتفق مع أصح وأثبت الروايات التاريخية المغربية التي تؤكد أن وفاته كانت في حاضرته الإسماعيلية مكناسة الزيتون وأنه دفن بها. قال الناصري: «اخترمته المنية رحمه الله يوم السبت الثامن والعشرين من رجب سنة تسع وثلاثين ومائة وألف... ودفن بضريح المجذوب رضي الله عنه من حضرة مكناسة.»[3]

وقد حدد جحاف مدة حكم المولى إسماعيل بثلاث وستين سنة، والثابت تاريخيا أنه تولى الحكم في ذي الحجة سنة 1082هـ/1672م وتوفي في 28 رجب سنة 1139هـ/21 مارس 1727م، وأنه حكم سبعا وخمسين سنة، سلطانا وملكا، والملاحظ أن جحاف قد أضاف إلى مدة حكم المولى إسماعيل سنوات ولايته على مكناسة وفاس وبلاد الغرب، نائبا وخليفة عن أخيه السلطان المولى الرشيد، وهذا ما يتضح من قول الناصري: «فقد كان خليفة ونائبا عن أخيه المولى الرشيد سبع سنين، وسلطانا وملكا مستقلا سبعا وخمسين سنة.»[4]

ويواصل جحاف سرد أسماء سلاطين الدولة العلوية الذين تعاقبوا على حكم المغرب بعد المولى إسماعيل، إلى زمن تأليفه لكتابه **الدرر** سنة 1225هـ/1810م حيث يقول: «وقام بالأمر من بعده أحمد الصغير، فلبث بالمملكة عامين إلا أربع ليال، فمات وقبر بالمدينة الحمراء. وقام بالأمر من بعده عبد الملك، فلبث أربع سنين ونصفا ومات بفاس. وقام بالأمر من بعده عبد الله، فلبث سبع سنين، ورأى من نجابة ولده محمد وشهامته ما دل على قهر الأعداء، فخلع نفسه وأقام ولده محمدا مقامه، ومات ذلك العام، وقبر بفاس الجديدة. وقام بالأمر من بعده ولده محمد، فغزا الأطراف، وصاول أهل الخلاف، وأرجف وأخاف، وافتتح مدائن عنوة، فذلت له الجبابرة وصالحته. وقد كان يبعث الجيوش على النصارى برا وبحرا، وله بهم وقعات مشهورة، ونكايات مذكورة، وكان يغنم الغنائم الواسعة، فينيل بها طوائف أهل الإسلام. وسيمر

(1) الإفراني، **نزهة**، 431-432؛ الناصري، **الاستقصاء**، ج. 7، 53، 67، 73.
(2) جحاف، **درر**، 142.
(3) الناصري، **الاستقصا**، ج. 7، 100.
(4) الناصري، **الاستقصا**، ج. 7، 99.

بك إن شاء الله بعض من ذلك في هذا الكتاب، وقد استوفينا أخبار مولاي محمد ومجرياته واختلاف ولديه يزيد وهشام، وما كان من أمرهما. وذكر مقتل اليزيد، وقيام القبائل وتحزبها على اختلاف أهوائها، كل طائفة مع الآخر، وكيف أفضى الأمر من بعده إلى مولاي سليمان، وهو القائم بالغرب عامنا هذا خمس وعشرين ومائتين وألف، كل ذلك مفصل بكتابنا **قرة العيون**. فلبث بالمملكة مولاي محمد ثلاثا وثلاثين سنة، ومات بالسواحل. وقام بالأمر من بعده ولده اليزيد فصاول الأعداء، وعارضه أخوه هشام، ثم قتله بمراكش، والأكثر على أنه قتله بالمدينة الحمراء، فلبث في المملكة ثلاث سنين وأشهرا، ثم لم يرض الناس هشاما بعده، فقصدوا مولاي سليمان، وهو عن ذلك الأمر معرض، مقبل على طلب العلم بفاس الجديدة، ولم يكن في دولة الأدارسة بالغرب بعد إسماعيل أحد يساوي مولاي محمد، وتبعه سليمان فما قصر. وكان لمولاي محمد من الأولاد علي وهو الأكبر وسليمان وعبد الرحمن والمأمون ويزيد وسلامة وهشام والطيب وعبد القادر والحسن والحسين والعربي وزين العابدين وعبد الملك وقد أتينا في **الرحلة** على أكثر أخبار محمد.»[1]

وجدير بالإشارة إلى أن جحاف قد اختزل فترة الصراع والفوضى التي أعقبت وفاة المولى إسماعيل سنة 1139هـ/1727م في ثلاث عشرة سنة ونصف تقريبا، مع أن هذه الفترة امتدت لما يزيد عن ثلاثين سنة، أي إلى أن تولى السلطان محمد بن عبد الله بن إسماعيل عرش العلويين سنة 1171هـ/1757م، وقد تميزت روايته عن هذه الفترة بالاضطراب والإيجاز الشديد، إذ اقتصر أحيانا على ذكر اسم السلطان ومدة حكمه ووفاته ومكان دفنه لا غير، فأصاب في بعض ما أورده عنها وأخطأ في البعض الآخر، ولربما يعزى السبب في هذه الأخطاء إلى اعتماده على الذاكرة من دون الرجوع لما دونه في كتابه **قرة العين بالرحلة إلى الحرمين**، الذي ألفه بعد عودته من حجته سنة 1217هـ/1802م، في حين أنه لم يشرع في تدوين كتاب **الدرر** إلا بعد وفاة الإمام المنصور سنة 1224هـ/1809م.

ويستفاد مما ذكره جحاف أن المولى أبا العباس أحمد بن إسماعيل المعروف بالذهبي، قد تقلد أمر السلطنة المغربية عقب وفاة والده في الثامن والعشرين من رجب سنة 1139هـ/21 مارس1727م، وأن بيعته تمت بمكناسة، وأنه توفي بها في الرابع من شعبان سنة 1141هـ/5 مارس 1729م.

وفي هذا الصدد، أورد الناصري في **الاستقصا** رواية عن إحدى مصادره الموثوقة، جاء فيها: «ورأيت بخط جدنا من قبل الأم وهو الفقيه الأستاذ أبو عبد الله محمد بن قاسم الإدريسي

(1) جحاف، **درر**، 142-143.

اليحيوي الجباري، عرف بابن زروق، وكان حيا في هذه المدة، ما نصه: بويع المولى أحمد بن إسماعيل المعروف بالذهبي يوم وفاة والده... وبعد مكثه في الملك سنة واحدة وثمانية أشهر خلع، وبويع أخوه عبد الملك في الآخر من رجب سنة إحدى وأربعين ومائة وألف، وهو بالسوس الأقصى بمدينة تارودانت، ثم ورد على دار المملكة بالحضرة المكناسية ليلة السابع والعشرين من رمضان المعظم من السنة المذكورة، ثم ثار عليه أخوه المولى أحمد المخلوع في عاشر المحرم فاتح سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف، واقتحم عليه دار الملك من مكناسة عنوة... وفر المولى عبد الملك ناجيا بنفسه إلى فاس، ثم حاصره بها المولى أحمد نحوا من أربعة أشهر حتى خرج إليه على الأمان فأمر بسجنه بمكناسة، ثم قتل المولى عبد الملك صبرا مخنوقا في أواخر رجب المذكور أيضا.»[1]

ويتضح مما سبق أن مؤرخنا جحاف كان مدققا ومحقا بشأن مدة حكم السلطان أحمد بن إسماعيل حين حددها بعامين إلا أربع ليال، إلا أنه لم يشر إلى عزله ومبايعته من جديد، بينما جانب الصواب، بخصوص مدة حكم المولى عبد الملك، ومكان وفاته، كما يتضح ذلك من رواية الناصري أعلاه.

ويذكر جحاف أن السلطان عبد الله بن إسماعيل العلوي، قام بالأمر بعد المولى عبد الملك، وأنه لبث في الحكم : «سبع سنين ورأى من نجابة ولده محمد وشهامته ما دل على قهر الأعداء، فخلع نفسه وأقام ولده محمدا ومات ذلك العام، وقبر بفاس الجديدة.»[2] في حين ذكر الناصري أن المولى عبد الملك، مات مخنوقا بأمر من أخيه السلطان أحمد بن إسماعيل «ليلة الثلاثاء أول يوم من شعبان، ثم توفي السلطان المولى أحمد يوم السبت رابع شعبان المذكور سنة إحدى وأربعين ومائة وألف، فكان بين وفاتهما ثلاثة أيام،»[3] إلى أن قال: «فاجتمع أعيان الدولة...واتفقوا على بيعة المولى عبدالله بن إسماعيل، وهو يومئذ بسجلماسة.»[4]

وهكذا اضطربت على مؤرخنا الأحداث في فترة الصراع بين أولاد المولى إسماعيل، وما تميزت به من تسلط قادة جيش عبيد البخاري، وتوليتهم وعزلهم للأمراء تبعا لمصالحهم وأهوائهم.[5] وقد أشار الناصري نقلا عن أكنسوس إلى أن من قام من هؤلاء الأمراء بعد بيعة السلطان المولى عبد الله لم يكن سوى ثائر عليه «لا إمامة له.»[6] وقد حدد جحاف مدة حكم

(1) الناصري، **الاستقصا**، ج. 7، 124.
(2) جحاف، **درر**، 142.
(3) الناصري، **الاستقصا**، ج. 7، 124.
(4) المصدر نفسه، ج. 7، 125.
(5) العروي، **مجمل**، ج. 3، 88.
(6) الناصري، **الاستقصا**، ج. 7، 193.

هذا السلطان بسبع سنين، ولعله يلمح بذلك إلى مدة بيعته الأخيرة، التي ولي بعدها ولده المولى محمد، إذ يستفاد من رواية الناصري أن العبيد خلعوا السلطان المولى عبد الله وبايعوا ولده محمد بمكناسة، وبعثوا إليه وفدا من قادتهم إلى مراكش، فرد بيعتهم وعاتبهم على ما ارتكبوه بحق والده، وتألفهم بشيء من المال، وأعرض عن الخوض في أمر البيعة، فرجعوا إلى مكناس،[1] وفي 27 جمادى الأولى من سنة 1163هـ/5 مايو 1750م، قدم المولى محمد من مراكش إلى مكناسة للصلح والتوسط بين العبيد ووالده، فوجد العبيد يخطبون باسمه فعاتبهم على ذلك، وقال لهم: «إني بريء منكم ومن فعلكم هذا وإنما أنا خديم والدي،» فتركوا الخطبة له وجددوا البيعة للمولى عبد الله، وكانت هذه هي البيعة السابعة له،[2] ويضيف الناصري في هذا الصدد ما يلي: «ثم إن السلطان المولى عبد الله لما رأى أن القلوب قد نفرت منه وأن العبيد والبربر قد امتدت عيونهم إلى ولده سيدي محمد وتعلقت آمالهم به تلافى أمره، وأخذ في استصلاح الرعية وتألفها.»[3]

وتختلف رواية جحاف عن رواية الناصري، في مسألة خلع المولى عبدالله بن إسماعيل وإعادته إلى العرش، إذ اعتبر جحاف أن خلع هذا السلطان قد حدث مرة واحدة، بمبادرة من السلطان نفسه، الذي أقام ولده المولى محمد مقامه، لما رأى فيه من نجابته وشهامته كما سبقت الإشارة. بينما أكد الناصري على خمول وانزواء المولى عبد الله، مع بزوغ نجم ولده المولى محمد في السلطة، وذيوع صيته بالمغرب كله، منذ أن أسند إليه والده السلطان حكم ولاية مراكش وأحوازها، نائبا عنه بها في سنة 1157هـ/1743م، يقول في هذا الصدد: «فكان أول من غرس شجرة الملك العلوي بها واتخاذها كرسيا لهم.»[4] أما والده المولى عبد الله فبقي: «مهملا بدار الدبيبغ سنين لا يأتيه أحد وبيعته في أعناق الناس وهم فارون منه... واستمرت حالته على ذلك مدة من اثنتي عشر سنة: من سنة تسع وخمسين ومائة وألف إلى سنة إحدى وسبعين ومائة وألف رحمه الله.»[5] وعندما كتب إليه أخوه المولى المستضيء في سنة 1164هـ/1750م، يعتذر عما سلف منه ويطلب منه محلا يستقر به، فكان مما أجابه: «فإن أردت الخمول مثلي فأقم بأصيلا واسكن بها فهي أحسن من دار الدبيبغ التي أنا بها وأرح نفسك كما أرحتها.»[6]

---

(1) المصدر نفسه، ج. 7، 181، 196.

(2) المصدر نفسه، ج. 7، 182، 196، وعن عزل المولى عبدالله وإعادته إلى العرش، ينظر، الناصري، **الاستقصا**، ج.7، 136، 137، 141-143، 151، 156-157، 181-183، العروي، **مجمل**، ج. 3، 88.

(3) الناصري، **الاستقصا**، ج. 7، 182.

(4) المصدر نفسه، ج. 7، 197.

(5) المصدر نفسه، ج. 7، 187.

(6) المصدر نفسه، ج. 7، 189.

ولما أرسل المولى المستضيء بولده إلى أخيه المولى عبد الله، يشكو له ما فعل به ولده المولى محمد، أجابه المولى عبد الله بما يلي: «قل لأبيك ذاك لا سبيل لي عليه، هو أعظم شوكة مني ومنك، فسر إلى بلاد أبيك وجدك وأرح نفسك من التعب والموت قريب مني ومنك... وذهب إلى سجلماسة فاستوطنها وذلك سنة ست وستين ومائة وألف، وأعرض عن الملك وأسبابه واستمر مقيما بها إلى أن توفي سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف.»[1]

هذا وقد تتبع الناصري غزوات المولى محمد في بلاد المغرب كله في حياة أبيه سنة 1169هـ/1755م، حين قال: «غزا بلاد السوس ودوخها ومهد أقطارها وجبى أموالها...وقفل الخليفة سيدي محمد رحمه الله إلى مراكش مؤيدا منصورا فمكث فيها أياما يسيرة ثم خرج غازيا بلاد الشاوية من السنة نفسها...ثم تقدم إلى أرض سلا فبات برباط الفتح...وسار إلى قصر كتامة من بلاد الهبط، فقدم عليه عبيد مكناسة...ومن الغد ارتحل إلى تطاوين...ثم مضى إلى جهة سبتة حتى أشرف عليها، ثم سار منها إلى طنجة ثم كر راجعا فمر بالعرائش ثم بسلا...ثم سار إلى مراكش فاستقر بها مؤيدا منصورا إلى أن وافته الخلافة الكبرى بها بعد وفاة والده.»[2] إلى أن قال: «إذ كانت أيامه لاسيما أخرياتها كأيام الفترة التي ليس فيها سلطان...فكان ذلك من أقوى الأسباب التي صرفت وجوه أهل المغرب كله إلى بيعة السلطان سيدي محمد رحمه الله وجمعت كلمتهم عليه...فلما قضى الله بوفاة والده بادر أهل فاس إلى عقد البيعة له من غير توقف ولا تريث...وهو بمراكش، فأقام مأتمه، وازدحم على بيعته أهل مراكش وقبائل الحوز...فخرج من مراكش...حتى انتهى إلى مكناسة، فدخل دار الملك بها...ثم لما قضى إربه من مكناسة ارتحل إلى فاس...ودخل فاسا الجديد فصلى به الجمعة.»[3]

وقد توفي المولى عبد الله بن إسماعيل بدار الدبيبغ في 27 صفر سنة 1171هـ/9 نونبر1757م، ودفن بقبور الأشراف بفاس الجديد، وكان مقيما بها من سنة 1159هـ/1745م إلى وفاته.»[4] ويتفق جحاف هنا مع الناصري، بخصوص وفاة المولى عبد الله بفاس الجديدة ودفنه بها.[5]

يبدأ جحاف خبره عن المولى محمد بن عبد الله، بقيامه بالأمر بعد والده، ويذكر غزواته وتمهيده لأطراف مملكته، وقمعه لأهل الخلاف، وافتتاحه بعض المدائن عنوة، حتى ذلت له

(1) المصدر نفسه، ج. 7، 190.
(2) المصدر نفسه، ج. 7، 196-197.
(3) المصدر نفسه، ج. 8، 3-5.
(4) المصدر نفسه، ج. 7، 187.
(5) جحاف، **درر**، 142.

الجبابرة وصالحته، ويعني هنا ملوك النصارى.[1] وفي هذا السياق يروي الناصري ما نصه: «وكانت له هيبة عظيمة...وهابته ملوك الفرنج وطواغيتهم ووفدت عليه رسلهم بالهدايا والتحف يطلبون مسالمته في البحر، بلغ ذلك رحمه الله بسياسته وعلو همته حتى عمت مسالمته أجناس النصارى كلهم، ووظف على الأجناس الوظائف فالتزموها وكانوا يؤدونها كل سنة، واستمر ذلك من بعده إلى أن انقطع في هذه السنين الأخيرة.»[2] وقد أشار جحاف إلى الصلات السخية والهبات النقدية والهدايا الثمينة، التي كان يبعث بها هذا السلطان إلى إخوانه من أهل الحرمين الشريفين وأشرافها، وإلى أشراف اليمن ومصر والشام والعراق كما سنرى. وفي هذا قال الناصري: «وكان للسلطان محمد ولوع بالجهاد في البحر، واتخذ لذلك قراصين حربية تكون في غالب الأوقات بمرسى العدوتين ومرسى العرائش...فلم تزل قراصينه تتردد في أكناف البحر وتجوس خلال ثغور الكفر فتقتل وتأسر وتغنم وتسبي، وكاد يستأصل جمهورهم حكم القضاء، فمنهم من فزع إلى طلب المهادنة وحسن الجوار ومنهم من تطاول.»[3] وقال في موضع آخر: «وأما ما كان ينفقه في الجهاد على رؤساء البحر وطبجيته وما يصيره على المراكب الجهادية والآلات الحربية التي ملأ بها بلاد المغرب فشيء لا يحصيه الحصر...وبلغ رؤساء البحر عنده ستين رئيسا كلها، بمراكبها وبحريتها. وبلغ عسكر البحرية ألفا من المشارقة وثلاثة آلاف من المغاربة، ومن الطبجية ألفين.»[4]

ويختم جحاف خبره عن السلطان محمد بن عبدالله بن إسماعيل العلوي بقول : «ولبث بالمملكة...ثلاثا وثلاثين سنة.»[5] فيكون بهذا قد زودنا بتحديد دقيق لمدة حكم هذا السلطان التي امتدت من وفاة والده في 27 صفر 1171هـ/9 نونبر 1757م إلى أن توفي في 24 رجب 1204هـ/09 أبريل 1790م.[6] ويذكر أنه «مات بالسواحل.»[7] ويقصد المنطقة الواقعة بين واد الشراط وواد إيكم.[8] وفي هذا يقول الناصري: «لما اعتصم المولى يزيد بضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش... نهض إليه من مراكش وأراد أن يحضر عنده بنفسه لعله تسكن نفسه...وكان عند خروجه من مراكش به مرض خفيف، فتحمل المشقة وجد السير فتزايد به

(1) المصدر نفسه.
(2) الناصري، **الاستقصا**، ج. 8، 68-69.
(3) المصدر نفسه، ج. 8، 20-21.
(4) المصدر نفسه، ج. 8، 70.
(5) جحاف، **درر**، 142.
(6) الناصري، **الاستقصا**، ج. 8، 65.
(7) جحاف، **درر**، 142.
(8) محمد القبلي وآخرون، **كرونولوجيا تاريخ المغرب من عصور ما قبل التاريخ إلى نهاية القرن العشرين** (الرباط: منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، 2012)، 116.

المرض بالطريق فوصل إلى أعمال رباط الفتح في ستة أيام، فأدركته منيته رحمه الله وهو في محفته على نحو نصف يوم أو أقل من رباط الفتح، فأسرعوا به إلى داره من يومه ذلك وهو يوم الأحد الرابع والعشرون من رجب سنة أربع ومائتين وألف.»[1]

ويواصل جحاف روايته الموجزة عن خلفاء السلطان محمد بن عبد الله، قائلا: «وقام بالأمر من بعده ولده اليزيد فصاول الأعداء، وعارضه أخوه هشام، ثم قتله بمراكش، والأكثر على أنه قتله بالمدينة الحمراء، فلبث في المملكة ثلاث سنين وأشهرا، ثم لم يرض الناس هشاما بعده، فقصدوا مولاي سليمان، وهو عن ذلك الأمر معرض، مقبل على طلب العلم بفاس الجديدة.»[2] وكان قد ذكر قبل ذلك : «وكيف أفضى الأمر من بعده إلى مولاي سليمان، وهو القائم بالغرب عامنا هذا خمس وعشرين ومائتين وألف.[3]

وعلى الرغم من خلو رواية جحاف هاته من التحيين الزمني للأحداث ومن التفاصيل الدقيقة، إلا أنها تلتقي إلى حد كبير مع ما أورده الناصري حين قال: «لما توفي السلطان سيدي محمد رحمه الله في التاريخ المتقدم، وبلغ خبر موته المولى يزيد وهو بالحرم المشيشي، بايعه الأشراف هنالك وسائر أهل الجبل...واستتب أمره فتوجه إلى تطاوين...فبايعه أهلها والقبائل المجاورة لها...ثم وفد عليه أهل طنجة والعرائش وأصيلا...ثم توجه إلى طنجة...وبها قدم عليه وفد أهل فاس من أشرافها وعلمائها وأعيانها...ثم انتقل إلى العرائش فوفاه بها حاشية أبيه وخدمه ووجوه دولته بما تخلف والده...وصاروا معه في ركابه إلى زرهون، ولما وصل إليها قدم عليه أخوه المولى سليمان من تافيلالت بقبائل الصحراء عربها وبربرها ومعه بيعة أهل سجلماسة...ولما دخل مكناسة قدمت عليه قبائل الغرب كلها عربها وبربرها...ثم قدمت عليه قبائل الحوز كله من عرب وبربر لم يتخلف عن بيعته أحد، وقدم عليه أهل مراكش وأعمالها ببيعتهم.»[4]

وقد تحدث الناصري عن معارضة المولى هشام لأخيه المولى يزيد، واجتماع كلمة أهل مراكش وعبدة وسائر قبائل الحوز عليه، ومبايعتهم له ثم قال: «ولما اتصل الخبر بالمولى يزيد وهو محاصر لسبتة اقلع عنها وسار إلى الحوز فشرد قبائله، ووصل إلى مراكش فدخلها عنوة... فاستباحها وقتل وسمل...ثم استجاش عليه المولى هشام قبائل دكالة وعبدة وقصده بمراكش فبرز إليه المولى يزيد ولما التقى الجمعان... انهزم جمع المولى هشام وتبعهم المولى يزيد

(1) الناصري، **الاستقصا**، ج. 8، 65.
(2) جحاف، **درر**، 142-143.
(3) المصدر نفسه، 142.
(4) الناصري، **الاستقصا**، ج. 8، 76.

فأصيب برصاصة في خده فرجع إلى مراكش يعالج جرحه، فكان في ذلك حتفه رحمه الله. وذلك أواخر جمادى الثانية سنة ست ومائتين وألف.»[1] وقد جعل جحاف مدة حكم المولى يزيد ثلاث سنين وأشهرا، والصحيح أن هذا السلطان لم يتم عامين كاملين، حيث تولى الحكم عقب وفاة والده في أواخر رجب سنة 1204هـ/أواسط أبريل 1790م، وقتل في 23 جمادى الثانية سنة 1206هـ/17 فبراير 1792م.[2]

أما بيعة المولى سليمان فأشار إليها جحاف بشكل مقتضب حين قال: «ثم لم يرض الناس هشاما بعده، فقصدوا مولاي سليمان وهو عن ذلك الأمر معرض، مقبل على طلب العلم بفاس الجديدة.»[3] وفي هذا يقول الناصري: «كان المولى سليمان بن محمد رحمه الله أعلق بقلب أبيه من سائر إخوته على ما قيل لسعيه فيما يرضي الله ورسوله ويرضي والده واشتغاله بالعلم والعكوف عليه بسجلماسة وغيرها...وكنا قدمنا أنه قدم على أخيه المولى يزيد بقبائل الصحراء فأجل مقدمه وأكرم وفادته، فأقام المولى سليمان رحمه الله بفاس إلى أن كانت وفاة المولى يزيد في التاريخ المتقدم، فاتصل خبر موته بأهل فاس ومكناسة فقاموا على ساق واتفق العبيد والودايا والبربر وأهل فاس على بيعته، لما كان عليه من العلم والدين وسائر الأوصاف الحميدة...وبايعوا المولى سليمان يوم الاثنين سابع عشر رجب سنة ست ومائتين وألف، ولما تمت بيعته انتقل إلى فاس الجديد فاستقر بدار الملك منها وقدمت عليه وفود القبائل من العرب والبربر بهداياهم.»[4]

وهكذا يكون جحاف قد استوفى أخبار السلطان مولاي محمد، واختلاف ولديه يزيد وهشام، وقيام القبائل وتحزبها وانحياز كل طائفة إلى طرف، ومقتل المولى يزيد ومبايعة المولى سليمان، وهو ما فصل القول فيه في كتابه الأصل **قرة العيون**.[5] وانتهى إلى قول: «ولم يكن في دولة الأدارسة بالغرب بعد إسماعيل أحد يساوي مولاي محمد، وتبعه سليمان فما قصر،»[6] فهؤلاء الثلاثة عنده هم أعظم سلاطين الدولة العلوية في العهد الأول، وهو يتفق في ذلك مع ما جاء في المصادر التاريخية المغربية.

ويختم جحاف حديثه عن السلاطين العلويين بتعداد أولاد السلطان محمد بن عبدالله، قائلا: «كان لمولاي محمد من الأولاد علي وهو الأكبر وسليمان وعبد الرحمن والمأمون ويزيد

(1) المصدر نفسه، ج82/8.
(2) القبلي وآخرون، **كرونولوجيا**، 118-119.
(3) جحاف، **درر**، 142-143.
(4) الناصري، **الاستقصا**، ج. 8، 86-87.
(5) المصدر نفسه، 142.
(6) جحاف، **درر**، 143.

وسلامة وهشام والطيب وعبد القادر والحسن والحسين والعربي وزين العابدين وعبد الملك. وقد أتينا في **الرحلة** على أكثر أخبار محمد.»[1] ويتوافق هذا مع ما ذكره الناصري حين قال: «وكان له عدة أولاد أكبرهم أبو الحسن علي والمأمون وهشام وعبد السلام هؤلاء لربة الدار المولاة فاطمة بنت عمه سليمان بن إسماعيل، ثم عبد الرحمن أمه حرة هوارية من هوارة السوس، ثم يزيد ومسلمة، أمهما علجة من سبي الإسبنيول، ثم الحسن وعمر، أمهما حرة من الأحلاف، ثم عبد الواحد أمه حرة من أهل رباط الفتح، ثم سليمان والطيب وموسى لحرة من الأحلاف أيضا، ثم عبدالله لحرة من عرب بني حسن، ثم إبراهيم لعلجة رومية.»[2]

وتسمح المقارنة بين ما أورده جحاف في كتاب **الدرر** من روايات عن سلاطين الدولة العلوية، وما جاء عند بعض المؤرخين المغاربة، بالوقوف على أهمية روايته رغم إيجازها الشديد، وتوافقها إلى حد كبير مع ما ذكره ثقات المؤرخين المغاربة، فضلا عن تفردها ببعض المعلومات، مما يؤكد أهمية كتابه **الدرر** كمصر مشرقي لتاريخ الدولة العلوية.

• الصلات السخية التي كان يبعث بها السلاطين العلويون إلى أئمة الزيدية باليمن

يبتدئ جحاف حديثه عن الهدايا النقدية الثمينة والصلات السخية، التي بعث بها السلطان المغربي محمد بن عبد الله العلوي إلى المنصور علي، إمام الزيدية في اليمن، وإلى أشراف اليمن في سنة 1197هـ/1782م، بقول: «وفيها بعث مولاي محمد سلطان المغرب مع أمير الحج الصفّار متولي فاس وفي صحبته ولده عبد السلام بن مولاي محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن محمد الرشيد الهاشمي الإدريسي بصلة، جعلها في الأشراف الفاطميين وأمر بصرفها إلى المتولين بالشام والعراق والحجاز والحرمين واليمن، هذا المشهور بين الناس، وأما ما حدثني به القاضي أحمد بن إسماعيل حنش، من أنها معونة الجهاد فسيأتي التفصيل للخبر في سنة إحدى ومائتين، وهذه الصلة التي بعثها من غنائم استفادها من غزواته لبلاد الأندلس، فوصلت إلى الشريف سرور، فبعث بها إلى الجهات المخصوصة المعينة، وأرسلها الشريف سرور على يدي رسول صاحب الغرب، الشريف أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الطاهر بن عمران المغربي، فوصل بها حضرة الإمام المنصور، وكانت كما قيل أربعين ألفا ذهبا مشاخصة وفضة ستين ألفا فرانصة.»[3]

وفي أحداث سنة 1202هـ/1787م أورد ما نصه: «وفيها أرسل ملك المغرب وهو مولاي محمد بن عبد الله بن إسماعيل بصلة واسعة إلى الحرمين الشريفين واليمن والحجاز والشام

(1) المصدر نفسه.
(2) الناصري، **الاستقصا**، ج. 8، 71.
(3) جحاف، **درر**، 367.

وجعلها في العلويين. فارسل الإمام حاكمه بالحديدة أحمد بن إسماعيل حنش آخر ربيع الآخر. فسار لقبضها إلى مكة وبقي بها إلى شهر رجب. وكانت تلك الأموال معدة عند شريف مكة سرور بن مساعد. فوصل وقد أدناه الحمام فدخل عليه، فوعده إن شفاه الله أن يسلمها إليه، فانتظره فمات. وتلقى الأمر أخوه الشريف عبد المعين، فبقي ثلاثة أيام وخلع بالشريف غالب بن مساعد وذلك أنه تألف العبيد بمال فاستمالهم وتقوى بهم. ولما سلم الناس الأمر لغالب، راح إليه حاكم الإمام فطالبه، فما زال يعده ويمنيه حتى سئم البقاء هنالك، وعزم على الرجوع. وأفضى إلى عبد الملك أو إلى سلامة ولد ملك الغرب إني ذاهب إلى اليمن صفر اليدين، فبلغ الشريف غالب، فأرسل للحاكم وقال: هات القاعدة في أنك تسلمت منا المال؟ ونطلقه لك فقال: لا يتم حتى أحوزه وأسلم لك خط الإمام في أنها في مقبوضي. فسلمها بعد أن فتش صناديقها، وخزل منها جانبا. وفي كتاب صاحب الغرب الصادرة إليكم مصروفة في أهل البيت العلويين مائة ألف منها ستون ألف ريال فرانصه وأربعون ألف مشاخصة.»[1]

إلى أن قال : «وعلى أحد صفحة الدينار ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآيتين، وعلى الصفحة الأخرى محمد بن عبدالله بن إسماعيل المولوي. وقال القاضي: ما بلغ في هذا العام من أنها في الأشراف العلويين لا أصل له، فأنا القابض لها ولكتاب صاحب الغرب، إنما ذكر أنها معونة في الجهاد، وشيء منها للعلويين وفي الكتاب وستصدر إليكم في كل عام مثلها. قال المؤلف غفر الله له- : فأما التي أرسلها في المرة الأولى فهي للأشراف العلويين خاصة ولما لم تصرف فيهم انقطعت من تلك السنة، وكانت من غنائم ملكها على الإفرنج الغالبة على بلاد الأندلس. وقد أتينا على أخبار مولاي محمد ولمع من سيره، وفصلنا ما كان بحوزه من مملكة الغرب في كتابنا **قرة العين بالرحلة إلى الحرمين**.»[2]

وقد اقتصر جحاف في كتابه **الدرر** على ذكر صلتين فقط من لدن السلطان المولى محمد بن عبدالله بن إسماعيل العلوي إلى المنصور علي، إمام اليمن، الأولى في سنة 1197هـ/1782م، والثانية في سنة 1202هـ/1787م، في حين أن هدايا وصلات السلاطين العلويين إلى أهل الحرمين الشريفين والأشراف بالحجاز ومصر وغيرها قد بدأت منذ زمن السلطان المولى إسماعيل 1082هـ-1139هـ/1672-1727م، حيث وجه مع ركب الحاج المغربي صحبة ابنه المعتصم هدايا البيت الحرام والروضة النبوية الشريفة، وصلات سنية للعلماء والفقراء واليتامى والأيامى والضعفاء، كما كان يبعث سنويا للسادات البكريين بمصر عشر سبائك من الذهب في كل واحدة مائة مثقال ذهب بالوزن العالي، وكان يوجه بصورة عامة لشرفاء الينبوع مائتي

(1) المصدر نفسه، 441.

(2) المصدر نفسه، 441-442.

مثقال ذهب، وكان يتعاهد خدمات الحرم الشريف، ويسأل عن العلماء والصلحاء بالحرم الشريف، ويواصلهم بالصلات، قال الناصري: «فقد كان عنده بجنان حمرية -بمكناسة- مائة ألف قعدة من شجر الزيتون وحبسه كله على الحرمين الشريفين، ومرت عليه بعد وفاته العصور وأيام الفترة والفتن والناس يحتطبونه فلم يظهر فيه أثر من ذلك، ولما بويع السلطان المولى محمد بن عبدالله أحياه وأجرى الماء إليه وأمر بإحصاء ما بقي من شجره فوجدوه ستين ألفا فكان رحمه الله يبعث بثمن غلته إلى الحرمين تنفيذا لمراد جده وكذا ابنه المولى سليمان رحمه الله.»[1]

وذكر المنوني نقلا عن كتاب **مدد التأييد** أن المولى إسماعيل كان يوجه الهدايا العظيمة لمصر والحرمين الشريفين على رأس كل سنة مدة دولته سبعا وخمسين سنة، واقتفى أثره في هذا العمل الجليل أبناؤه الأمراء وبخاصة السلطان المولى عبد الله الذي زاد على ذلك زيادة كبيرة.[2]

وفي سنة 1143هـ/1731م، وجه السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل والدته الأميرة خناثة بنت بكار المغافري إلى الحج، ومعها ابنه السلطان من بعده المولى محمد في جماعة من أعيان وأشياخ المغرب، وبعث معها مائة ألف دينار للتوسع بها على أهل الحرمين الشريفين وغيرهم.[3] وذكر الوزير الإسحاقي الذي أنيطت به مهمة مرافقة الأميرة خناثة وحفيدها الأمير المولى محمد في رحلتهما هذه إلى الحج، وكلف بتدوين هذه الرحلة من قبل السلطان المولى عبدالله، أن عند نزولهم بالينبع: «قدم جماعة الشرفاء أهل ينبع على السيدة والدة مولانا نصره الله ففرحت بهم وكستهم كساوي مليحة...وأكرمتهم دفعت لهم أعزها الله مائتي مثقالا ذهبا مطبوعا كانت تأتيهم أيام مولانا أمير المؤمنين مولانا إسماعيل رحمة الله، وأعطتهم مائة مثقال ذهب من عندها.»[4] وذهب محقق الرحلة إلى أنها كانت عبارة عن وفادة سياسية رسمية تضم الأميرة خناثة أم السلطان ونجله الأمير المولى محمد، مع نخبة من العلماء والفقهاء، يتصدرهم الوزير الإسحاقي، وأن الهدف منها هو حشد الدعم والتأييد من حكام بلدان المغارب والشرق العربي الإسلامي، للسلطان المولى عبد الله وترسيخ قدمه في الحكم وإثبات شرعيته فيه في مواجهة خصومه من إخوته المتنافسين معه على العرش.[5]

---

(1) الناصري، **الاستقصا**، ج. 7، 102؛ المنوني، **ركب**، 23.

(2) المنوني، **ركب**، 23.

(3) المرجع نفسه، 13، 19.

(4) الإسحاقي، الرحلة، ج. 2، 486.

(5) المصدر نفسه، ج. 1، 6-7 ؛ عبد الهادي التازي، **رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة** (الرياض: منشورات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1426هـ/2005م)، 291.

ولما تولى السلطان محمد بن عبدالله عرش العلويين، رتب مائة ألف مثقال في السنة لأهل الحرمين الشريفين وشرفاء اليمن والحجاز، قال الناصري: «ورتب للأشراف بتافيلالت في كل سنة مائة ألف مثقال...ورتب لأهل الحرمين الشريفين وشرفاء الحجاز واليمن مائة ألف مثقال أيضا.»[1] وحين عزم ركب الحاج المغربي على السفر إلى الحجاز، في سنة 1182هـ/1768م، بعث فيه السلطان محمد بن عبد الله بولديه الأميرين المولى علي الأكبر وخليفته الأشهر، شقيقه المولى عبد السلام صغيرا، لإقامة فريضة الحج، ومرافقة أختهما التي زفها والدها السلطان محمد إلى شريف مكة وسلطانها سرور بن مساعد، وأصحبهما هدية لأمير طرابلس، وهدية لأمير مصر والشام، وهدية عظيمة لأهل الحرمين الشريفين، ومالا كثيرا يفرق على شرفاء الحجاز واليمن، وجوائز سنية للعلماء والنقباء وأرباب الوظائف بمكة والمدينة، وبعث معهما من وجوه أهل المغرب وأولاد أمراء القبائل وأشياخهم، ومن أكابر خواصه وأصحاب أشغاله بالخيول المسومة والسلاح الشاكي، والشارة الحسنة، ما تحدث به أهل المشرق دهرا، وكان في جهاز ابنة السلطان ما يزيد على مائة ألف دينار من الحلي والياقوت والجوهر، وكان يوم دخولها إلى مكة يوما مشهودا، حضره عامة أهل الموسم الأعظم من الآفاق، متناقلة حديثه الركبان والرفاق.[2]

وتحدث جحاف عن مصاهرة محمد بن عبد الله، سلطان المغرب، للشريف سرور بن مساعد، أمير مكة، وأشار إلى الصلات التي بعث بها إليه صحبة الركب والوفد الرسمي المرافق لزفاف ابنته، في تلك السنة، قائلا: «وزوجه سلطان الغرب الإدريسي ابنته، وأعلن النكاح في بلاده ووصلت منه الصلات.»[3] ويتفق هذا مع ما جاء عند الناصري حين قال: «رغب السلطان سيدي محمد رحمه الله في مصاهرته وسمحت نفسه الشريفة ببذل كريمته...فلما دخلت سنة 1182، وعزم ركب الحاج المغربي على السفر...بعث معهم السلطان المذكور ابنته وزفها إلى بعلها المذكور.»[4] وفي المقابل بعث الشريف سرور، أمير مكة، لصهره السلطان محمد بن عبد الله بهدية فاخرة فيها خنجر من ذهب ومبلغ نقدي ذو بال بواسطة أمير الركب الفاسي الشيخ عبد الواحد صفيرة.[5]

وقال الناصري، في معرض حديثه عن ركب سنة 1197هـ/1782م: «وفي هذه السنة بعث السلطان ولده المولى عبد السلام لأداء فريضة الحج لأنه لم يكن أدرك الحلم عام حج مع أخيه

(1) الناصري، **الاستقصا**، ج. 8، 70؛ المنوني، **ركب**، 23-24.
(2) المصدر نفسه، ج. 8، 34؛ المنوني، **ركب**، 13، 20، 23، 24؛ التازي، **رحلة الرحلات**، 381-384.
(3) جحاف، **درر**، 306-307.
(4) الناصري، **الاستقصا**، ج. 8، 34.
(5) المنوني، **ركب**، 29-30.

علي.»[1] ولم يزد الناصري على ذلك شيئا، كما لم يشر إلى الصلة التي بعث بها السلطان محمد صحبة ركب الحاج المغربي لتلك السنة.

وقد تفرد مؤرخنا جحاف بإيراد تفاصيل وافية عن هذه الوفادة والصلة الواسعة، في نصه المقتبس سلفا، والذي زودنا فيه بمعلومات هامة عن شخصيات الوفد المغربي الذي قدم في موسم حج تلك السنة، يحمل صلة واسعة من السلطان المغربي المولى محمد بن عبد الله، صحبة الشيخ الحاج الصفار، أمير الركب الفاسي، برفقة الأمير المولى عبد السلام ابن السلطان، وجعلها في أشراف الفاطميين في مصر والشام والعراق والحجاز واليمن، وحدد فيه نصيب إمام وأشراف اليمن، وذكر وصول الوفد إلى الشريف سرور، أمير مكة، فبعث بها إلى الجهات المخصوصة المعينة، فأرسل الشريف سرور بحصة إمام وأشراف اليمن على يدي رسول ومبعوث السلطان المغربي محمد بن عبد الله، السفير الشريف أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الطاهر بن عمران المغربي إلى إمام اليمن المنصور علي، فوصل بها السفير المغربي إلى صنعاء وحط رحاله بالحضرة الإمامية المنصورية، وكان مقدارها مائة ألف: أربعين ألفا ذهبا مشاخصة وفضة ستين ألف فرانصة.

وينفرد جحاف بذكر اسم المبعوث المغربي الخاص من السلطان المغربي محمد بن عبدالله إلى إمام اليمن المنصور علي، السفير الشريف أحمد بن عبدالله المغربي، وهذا يوحي بعناية واهتمام السلطان العلوي وعلاقاته الودية مع أئمة الزيدية وأشراف اليمن، ويتضح من النص بأن حصة أئمة وأشراف اليمن، كانت تأتي من المغرب مخصصة ومعينة لهم في صناديقها وحقاقها مكتوب عليها، بعيدا عن أي لبس، مرفوقة برسالة من سلطان المغرب إلى إمام اليمن، ولا ريب في أن إمام اليمن لن يتوانى في كتابة رسالة جوابية تليق بالموقف والمقام. ويفيد نص جحاف بأن هذه الصلات الواسعة التي بعث بها السلطان المغربي محمد بن عبدالله، كان مصدرها الغنائم التي جناها من انتصاراته في غزواته على ممالك النصارى وأهل بلاد الأندلس والتي بلغت وترددت أصداؤها في المشرق الإسلامي، وأبانت عن قوة وعظمة السلطان المغربي محمد بن عبد الله.

وبالرجوع إلى ما رواه الناصري، نجد أن هذا المبلغ كان مقررا لأشراف اليمن بصورة سنوية معتادة، كأشراف تافيلالت بالمغرب وشرفاء الحجاز،[2] وهو ما أكده في حديثه عن ركب سنة 1182هـ/1768م.[3] ويروي الناصري في موضع آخر من كتابه أنه لما آن أوان خروج

(1) الناصري، **الاستقصا**، ج. 8، 51.

(2) الناصري، **الاستقصا**، ج. 8، 70؛ المنوني، **ركب**، 23-24.

(3) المصدر نفسه، ج. 8/ 34؛ المنوني، **ركب**، 23-24.

ركب الحاج المغربي لسنة 1199هـ/1784م «أحضر السلطان صهره وابن عمه المولى عبد الملك بن إدريس وكاتبيه أبا عبد الله محمد بن عثمان المكناسي، وأبا حفص عمر الوزريق، وشيخ الركب أبا محمد عبد الكريم بن يحيى، وحملهم على وجه الأمانة مالا لأشراف مكة والمدينة وسائر الحجاز واليمن، وقدره ثلاثمائة ألف ريال وخمسون ألف ريال، وبعث معهم صلات أخر لأناس معينين في حقاق مختوم على كل واحد منها اسم صاحبه، وأمرهم أن يذهبوا أولا إلى القسطنطينية حتى يكون سيرهم مع أمين الصرة الذي يوجهه السلطان العثماني إلى الحرمين كل عام، وإنما ارتكب السلطان هذه المشقة حذرا من ابنه المولى يزيد أن يعترضهم في الطريق وينتزع منهم المال...فلما وصلوا إلى القسطنطينية وجدوا أمين الصرة قد سافر بالركب إلى الحجاز فأقاموا بها إلى العام القابل، وحينئذ سافروا صحبة الركب ولما وصلوا إلى المدينة فرقوا على أهلها وعلى سائر شرفاء الحجاز حظهم من المال. ولما وصلوا إلى مكة وجدوا المولى يزيد بها يترصدهم، ففرقوا على أهل مكة حظهم وبقي عندهم حظ اليمن والحقاق التي فيها صلات الذهب، فتغفلهم المولى يزيد وقت القيلولة وهجم عليهم في جمع من أصحابه...فانتزع منهم ما قدر عليه وأخذ الحقاق وذهب، فذهب شيخ الركب والمولى عبد الملك والكاتبان إلى أمير مكة الشريف سرور، وأخبروه الخبر فبعث أعوانه إلى المولى يزيد فحضر عنده وألزمه رد المال وتهدده فرد البعض وجحد البعض، فبسبب هذا فيما قيل غضب السلطان عليه وتبرأ منه.»[1] وجاء في رحلة الوزير المكناسي، الذي كان أحد وجهاء الوفد الرسمي المصاحب لركب تلك السنة، ما نصه: «وفي مهل المحرم سنة مائتين وألف، كان سفرنا من عند سيدنا ومولانا أمير المؤمنين...وهو في رباط الفتح، وأصحبنا أدام الله نصره وأيد فخره المال الذي على السادات أهل الحرمين وغيرهم وهب، من الفضة والذهب، وذلك له أعزه الله في كل سنة طريقة ومذهب.»[2]

كان وصول الوفد المغربي القادم من القسطنطينية إلى مكة سنة 1201هـ/1786م.[3] وقد تحدث جحاف عن هذه الصلات الواسعة التي بعث بها محمد بن عبد الله، سلطان المغرب، إلى أشراف الحرمين الشريفين واليمن والحجاز والشام. وتفيدنا رواية الناصري في أن وفد الركب السلطاني المغربي وهب إلى شرفاء المدينة نصيبهم عند مروره بها، ثم فرق نصيب

(1) الناصري، **الاستقصا**، ج. 8، 56-57.

(2) محمد بن عبد الوهاب المكناسي، **إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة، القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب**، حققها وقدم لها محمد بوكبوط (أبوظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط.1، 2013)، 50-51. وفي هذه السنة 1200هـ/1786م، بعث السلطان المغربي محمد بن عبدالله هدية عظيمة من جملتها أحمال من سبائك الذهب مثل بارات الحديد للسلطان العثماني. الناصري، **الاستقصا**، ج. 8، 60.

(3) المكناسي، **إحراز**، 264؛ التازي، **رحلة الرحلات**، 401-406.

أهل مكة بمجرد وصوله إليها، وبقي عنده نصيب اليمن في حقاق الذهب، إلى أن انتزعها منهم مولاي اليزيد كما سبقت الإشارة. بينما ترجع رواية جحاف السبب في المماطلة والتأخير في تسليم حصة أشراف اليمن وانتقاصها، إلى غالب بن مساعد، شريف مكة، الذي قام بتفتيش الصناديق وأخذ لنفسه منها بعضا مما كان فيها.

ويعزز ما جاء في رواية جحاف ما ذكره عبد الهادي التازي عن المبالغ المالية الضخمة التي حملها الأمير مولاي عبد السلام بن السلطان سيدي محمد بن عبد الله لتوزيعها على أشراف مكة والمدينة وغيرها، وذلك نقلا عن وثيقة سلطانية رسمية تحمل توقيع السلطان محمد بن عبدالله مؤرخة بأوائل جمادى الأولى سنة 1204هـ/14 يناير1790م، جاء فيها أنه: «لا حق للشريف أمير مكة في توزيع هذه المبالغ على أهل المدينة المنورة... وإنما يوزعه أمين المدينة...لأن شريف مكة نهب من مال هدية شرفاء اليمن ستة عشر ألف مطبوع العام الماضي.»[1]

والظاهر أن هذه الملابسات، قد تسببت في تأخير وصول حصة أشراف اليمن من أعطيات السلطان المغربي مع المبعوث السلطاني المغربي إلى الحضرة الإمامية بصنعاء، كما جرت العادة. فأوعز الإمام المنصور إلى القاضي أحمد بن إسماعيل حنش، حاكمه على الحديدة، بالذهاب إلى مكة لقبض تلك الأعطيات ومعها الكتاب السلطاني المرفق بها، فسار إليها في آخر ربيع الآخر سنة 1202هـ/1787م، وبقي بها إلى شهر رجب، ودخل على شريف مكة سرور بن مساعد، وقد أدناه الحمام ووعده إن شفاه الله أن يسلمها إليه، فتوفي، وأخذ الشرافة بمكة أخيه غالب بن مساعد، فسار إليه رسول إمام اليمن، فأخذ بمماطلته ومواعدته حتى سئم، فشكاه إلى أمير الركب السلطاني المولى عبد الملك أو المولى سلامة ابن السلطان حسب ما ذكره جحاف. وبالرجوع إلى رواية الناصري، فإن الذي كان على رأس الوفد السلطاني هو المولى عبد الملك بن إدريس، صهر السلطان وابن عمه، وعندما بلغ الشريف غالب ذلك، بعث إلى رسول إمام اليمن فسلمها إليه «بعد أن فتش صناديقها، وخزل منها جانبا. وفي كتاب صاحب الغرب الصادرة إليكم مصروفة في أهل البيت العلويين مائة ألف منها ستون ألف ريال فرانصه وأربعون ألف مشاخصة.»[2]

وتتفق رواية جحاف في هذه القضية مع ما جاء في الروايات المغربية حول مقدار المبلغ المخصص لأشراف اليمن والمقدر بمائة ألف مثقال سنويا، منها ستون ألف ريال فضة فرانصة وأربعون ألف ريال ذهبا مشاخصة. وكانت هذه الصلات تبعث من قبل السلطان المغربي

(1) التازي، **رحلة الرحلات**، 439-440.
(2) جحاف، **درر**، 441.

في صناديق وحقاق مختومة، وعليها أسماء الجهات المخصصة لها، ومرفوقة برسائل سلطانية يحملها مبعوثو السلطان إلى تلك الجهات.

ويوحي نص جحاف بوقوفه على نماذج من السكة المغربية الواصلة إلى صنعاء، حيث يصف النقوش المضروبة على وجهي الدينار المغربي، قائلا: «وعلى أحد صفحة الدينار، ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾،[1] وعلى الصفحة الأخرى محمد بن عبدالله بن إسماعيل المولوي.»[2] وهذه الملاحظة الدقيقة التي زودنا بها جحاف، لم نجد لها أي ذكر أو إشارة عند المؤرخين المغاربة لتلك الفترة، وتوحي باهتمامه وتتبعه للأخبار المتعلقة بالمغرب.

ويضيف جحاف فيما نقله عن القاضي أحمد بن إسماعيل حنش، الذي تكفل بمهمة استلام صلة السلطان المغربي إلى شرفاء اليمن، بأن تلك الصلة هي معونة للجهاد، مع تخصيص شيء منها للعلويين، فيفهم من ذلك أن سلاطين المغرب كانوا يبدون تعاطفا سياسيا لأئمة اليمن ويدعمونهم بالمال، وأن هؤلاء الأخيرين كانوا يوظفون ما يتلقونه منهم من أموال برسم المعونة على الجهاد في قمع الخصوم والمناوئين وإبعاد المتسلطين المنافسين على الحكم.[3]

ويعزز هذا الكلام ما أورده عبد الهادي التازي، نقلا عن السجلات والوثائق السلطانية الرسمية المشار إليها في رحلة الأمير المولى عبد السلام، من أن هذا الأمير حمل معه هدية كبيرة للحرمين مكونة من «خمسة آلاف سبيكة من الذهب، زنة كل سبيكة مئة دينار...وكان هذا المال مما كان رتبه العاهل المغربي على دولتي الدانمارك والبندقية، وخصص هذا المال لمن سكن الحجاز والحرمين -لما يتوقعه من جهادهم.»[4]

ومما جاء في السجل المؤرخ بأوائل جمادى الأولى سنة 1204هـ/أواسط يناير 1751م: «ويعين القسمة الرابعة السادة الشرفاء أهل بدر ورابغ وخليص والصفراء والحديدة والحسينية وعين عجلان وبقية أشراف الحجاز، مئتان من السبائك أيضا.»[5] ويستفاد مما ذكره هذا المؤلف أيضا أن هذه الصلات كانت ممنوعة على الرافضة الذين يبغضون الشيخين.[6]

---

(1) سورة التوبة، الآية: 34.
(2) جحاف، **درر**، 441.
(3) التازي، «إدريس الأكبر،» 119.
(4) التازي، **رحلة الرحلات**، 439.
(5) المرجع نفسه.
(6) المرجع نفسه، 440.

وتنفرد هذه الوثيقة السلطانية بالإشارة إلى الصلات التي كان يبعث بها السلطان المغربي محمد بن عبدالله إلى أشراف اليمن في الحديدة والحسينية وعين عجلان وغيرهم من أشراف تهامة، ويبدو أنها كانت تبعث إليهم مستقلة عن الصلة الكبرى المعينة والمخصصة لإمام اليمن وأشرافها من الزيدية.

ويشير جحاف إلى أن مصدر تلك الصلات السخية الواسعة كان من الغنائم التي حصدها السلطان محمد بن عبدالله من انتصاراته وغزواته على الإفرنج الغالبة على بلاد الأندلس، ويختم نصه بقول: «وقد أتينا على أخبار مولاي محمد ولمع من سيره، وفصلنا ما كان بحوزه من مملكة الغرب في كتابنا **قرة العين بالرحلة إلى الحرمين**.»[1]

وقد أشار جحاف، نقلا عن القاضي حنش، إلى أن الكتاب السلطاني، تضمن ما نصه: «وستصدر إليكم في كل عام مثلها.»[2] ويدل هذا على عناية السلاطين العلويين بأئمة وأشراف اليمن، وتعهدهم لهم بالصلات السخية الواسعة والهدايا الثمينة، بصفة دورية ومستمرة، وعلى عمق الروابط والصلات الأخوية والعلاقات الودية بين سلاطين المغرب وأشراف وأئمة الزيدية في اليمن.

وتجدر الإشارة إلى أن التواصل ظل مستمرا بين أئمة الزيدية في اليمن والأسرة العلوية بالمغرب، ومما يشهد على ذلك السفارة المغربية التي وفدت إلى اليمن، بمجرد قيام الأسرة القاسمية الزيدية وانتزاعها لحكم اليمن من السلطنة العثمانية سنة 1045هـ/1635م بقيادة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم (1045-1054هـ/1635-1644م)، الذي يعد الإمام المؤسس لحكم الأسرة القاسمية في العصر الحديث. حيث وصل السفير المغربي الطاهر بن عبد الله الإدريسي إلى مدينة زبيد اليمنية سنة 1048هـ/1638م، أي سنة قبل مبايعة المولى محمد بن الشريف (1049-1075هـ/1640-1664م) بتافيلالت، وكان مصحوبا بالسيد العلامة هاشم بن حازم بن أبي نمي – من الأشراف الذين تعاقبوا على حكم مكة- وتوجها معا إلى مدينة الحديدة لمقابلة الأمير الحسن بن القاسم (ت 1048هـ/1638م)، وكان أميرا على الحديدة وتهامة، فاستقبله الأمير الحسن بالإجلال والاحترام، وأجزل له العطايا والصلات والخلع النفيسة، وذكر الإمام محمد بن علي الشوكاني، أنه أعطاه خمسة وعشرين ألف قرش من النقد، ومن الجواهر والنفائس ما يخرج عن الفكر.[3]

(1) جحاف، **درر**، 441، وذكر جحاف في سنة 1202هـ/1787م : «وفيها بعث ملك من ملوك الهند إلى الإمام بمال واسع... وكان في كتاب ملك الهند أن الصادرة إليكم معونة في الجهاد» جحاف، **درر**، 440.

(2) جحاف، **درر**، 442.

(3) الشوكاني، **البدر**، الترجمة 133، ص 221.

وبعد اللقاء الودي بين الأمير الحسن بن القاسم والسفير المغربي الطاهر الإدريسي، أرسله صحبة بعض خواصه لمقابلة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم (ت 1054هـ/1644م)، فلاقاه الإمام المؤيد بالحفاوة والترحاب، وأجزل له العطايا والصلات، وحمله رسالة مطولة إلى أهل المغرب الأقصى، يدعوهم فيها إلى بيعته، وتجنب الخلافات والتضامن والالتفاف حول آل البيت، وفي مقدمتهم الطاهر بن عبد الله الإدريسي، الذي اعتبره الإمام المؤيد بالله، القائم بدعوته في المغرب الأقصى، ومما جاء في هذه الرسالة: «فكتبنا لكم دعوتنا هذه داعية إلى مثل ما دعا إليه سلفنا وسلفكم...ودخول مع جماعة إخوانكم من أهل البيت فيما دخلوا فيه...وأمرنا السيد الجليل الطاهر بن عبدالله أن يبلغها إن شاء الله إليكم ويأخذ عهد الله فيها عليكم ويستعين -بعد الله- بكم على نشر أعلامها... بتاريخ العشر الوسطى من ذي القعدة الحرام عام ثمان وأربعين وألف بدرب الأمير من وادي أقر من بطن حجور وأعمال محروس شهارة.»[1] كما ذكّر الإمام المؤيد في ثنايا هذه الرسالة بأمجاد أجداد آل البيت من المغاربة، وبالأخص الإمام إدريس بن عبد الله، وأورد قطعة من رسالة الإمام إدريس إلى شيعة آل البيت بمصر.[2]

ومن الواضح أن الشريف الطاهر الإدريسي الذي وفد على اليمن، قد غادر المغرب في فترة عصيبة تميزت بكثرة الصراعات والفتن، لاسيما بعد وفاة السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي، وتفرق بنيه، وظهور بعض الزعامات الطامعة في الحكم، وتزايد أطماع أتراك الجزائر في السيطرة على المغرب، مما كان يهدد بخروج الحكم من يد الشرفاء السعديين أيام السلطان محمد الشيخ الأصغر أواسط ذي القعدة 1048هـ/مارس 1639م. والظاهر أن المغاربة قد استفادوا من الرسالة المطولة، التي بعث بها إمام اليمن المؤيد بالله محمد بن القاسم، وتداركوا الأمر بالالتفاف حول الأسرة العلوية الشريفة، التي بدأت بالظهور على مسرح الأحداث السياسية في تلك الفترة بعد مبايعة المولى محمد بن الشريف.[3]

وبعد قيام دولة العلويين، استمر التواصل بين سلاطينها وأئمة اليمن إلى عهد السلطان محمد بن عبدالله وولده السلطان المولى سليمان، وإمام اليمن المنصور علي، سليل الأسرة

---

(1) الجرموزي، **الجوهرة**، ج. 2، الورقة 244-247.

(2) الجرموزي، **الجوهرة**، ج2 ، الورقة 244-247، وقد نشر نص الرسالة التي وجهها الإمام إدريس إلى أهل مصر ضمن رسالة الإمام المؤيد بالله إلى أهل المغرب في مجلة الوثائق المغربية، المجموعة الأولى 1976/1396 الوثيقة الخامسة، من 60-61، بعرض وتقديم المرحوم علال الفاسي، وأعاد نشرها عبد الهادي التازي، «إدريس الأكبر،» 105-120.

(3) عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب**، المجلد الثامن، عهد السعديين والمجلد العاشر، عهد العلويين (الرباط: 1989)، 80-82؛ التازي، «إدريس الأكبر،» 118-119.

القاسمية، كما بينا سلفا. ويتساءل الدكتور عبد الهادي التازي عن السر الكامن وراء تذكر الملوك العلويين لأشراف اليمن بالصلات السنوية التي كانت تنفذ إليهم صحبة ركب الحاج المغربي،[1] قائلا: «فإن الأمر لا يتعلق فقط بمواساة تقتضيها الأصول الإسلامية سيما مع وجود مواطنين مغاربة من أصل يمني على هذا العهد ولكن أيضا بتعاطف سياسي يستهدف أبعاد المتسلطين على الحكم.»[2]

• كتاب قرة العين بالرحلة إلى الحرمين من خلال كتاب الدرر

يبدو أن عزوف جحاف عن ذكر التفاصيل في كتابه الأخير الموسوم بـ: **الدرر**، يرجع إلى اكتفائه بالإحالة على كتابه الأصل **قرة العين بالرحلة إلى الحرمين** لمن أراد التوسع خشية التكرار والإطالة لما سبق أن فصل القول فيه، لاسيما وأنه خصص كتابه الأصل لأخبار الأمم، ووصفه بأنه مفيد في هذا الشأن، بينما أفرد كتابه **الدرر** بالأساس، لسيرة الإمام المنصور علي، وما جرى خلال عهده (1189-1224هـ/1775-1809م)، من أحداث ووقائع وأخبار ووفيات، تهم في أغلبها الشأن اليمني الداخلي، وهنا يكمن الفرق الجوهري بين كتابيه، إلا أن كتاب **الدرر** لم يخل من نبذ مفيدة ومختصرة ومجملة، عن أخبار العالم الإسلامي، ومنها أخبار المغرب والسلاطين العلويين، وعلاقاتهم الودية بأئمة الزيدية في اليمن وأشراف الحجاز.

وهذه الإضاءات التاريخية والإيماءات الثمينة القيمة، التي جاءت عند جحاف في **الدرر**، وألمح إليها في نصوصه، تدفعنا إلى التأكيد على أهمية كتابه الأصل **قرة العين**، وتوحي بمكانة وقيمة ما جاء فيه من معلومات وأخبار عن المغرب وسلاطينه وبعض علمائه. يشهد على هذا قوله: «وأودعنا ذلك بطن كتابنا الموسوم بـ: **قرة العين بالرحلة إلى الحرمين** فنقلنا فيه عن أهل الغرب.»[3] وقوله في معرض حديثه عن السلطان محمد بن عبدالله: «وقد استوفينا أخبار مولاي محمد ومجرياته، واختلاف ولديه يزيد وهشام، وما كان من أمرهما. وذكر مقتل اليزيد، وقيام القبائل وتحزبها على اختلاف أهوائها، كل طائفة مع الأخرى، وكيف أفضى الأمر من بعده إلى مولاي سليمان، وهو القائم بالغرب عامنا هذا خمس وعشرين ومائتين وألف، كل ذلك مفصل بكتابنا **قرة العيون**.»[4] إلى أن قال : «وقد أتينا في **الرحلة** على أكثر أخبار

(1) ويشير الدكتور عبد الهادي التازي، إلى ترحيب الأمير عبد الله بن الإمام يحي حميد الدين (ت. 1948م)، عضو الوفد اليمني والممثل لليمن في اجتماع الجامعة العربية بالقاهرة بالأمير الحسن بن الملك محمد الخامس، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب، عهد العلويين**، المجلد العاشر، 267؛ التازي، «إدريس الأكبر،» 118-119.

(2) التازي: «إدريس الأكبر،» 119.

(3) جحاف، **درر**، 140.

(4) المصدر نفسه، 142.

محمد،»[1] وذكر في موضع آخر : «وقد أتينا على أخبار مولاي محمد ولمع من سيره، وفصلنا ما كان بحوزه من مملكة الغرب في كتابنا **قرة العين بالرحلة إلى الحرمين.**»[2] وفي حديثه عن أحد تلاميذ شيخه الحافظ الصالح بن محمد الفلاني المغربي، أورد ما نصه : «وقد أتينا على أحوال شيخنا وأخباره ونقلنا إجازته في مروياته ونقلنا أخبار ملوك المغرب الأدارسة وبعض أحوال ملوك الهند وملوك الروم وأخبار كثيرة عن سائر الديار في البحار في كتابنا الذي سميناه **قرة العين بالرحلة إلى الحرمين.**»[3]

وفي أثناء حديثه عن قدوم الشيخ الشاعر العالم محمد البناني المغربي إلى صنعاء في سنة 1211هـ/1796م، روى ما نصه: «وحدث عن الغرب وأهله بأخبار اضطربنا فيها، ولكن تؤيدنا بما أتينا منها على أخبار دولة الغرب وأحوالها في كتابنا **قرة العين بالرحلة إلى الحرمين**، فأغنى عن ذلك.»[4]

وعند ذكره لوفاة شيخه العالم الحافظ المسند الحجة الصالح بن محمد الفلاني المغربي، في وفيات سنة 1218هـ/1803م، قال : «وفيها توفي شهر جمادى الأولى شيخنا المجتهد الحافظ الحجة إمام الحرمين...وقد أتيت على أحواله مبسوطة في كتابي **قرة العين بالرحلة إلى الحرمين**، وذكرت فيها خروجه من بلده، وذكرت من لقي من الشيوخ، واستجزته فأجازني في جميع ما يصح له فيه الروايات من كتب الحديث وغيرها.»[5]

وتشي ترجمة جحاف لشيخه المغربي الصالح بن محمد الفلاني بأنه خص شيخه المذكور بترجمة واسعة غنية ومبسوطة، ضمنها أسماء شيوخ شيخه الذين التقى بهم وأخذ عنهم، وذكر فيها رحلته منذ خرج من المغرب، إلى أن حط رحاله بالحرمين الشريفين، واستقر به المقام حتى وفاته، وهو بذلك يكون قد دون معجم شيوخ شيخه ورحلته في كتابه الأصل **قرة العين**.

من خلال هذه الإشارات، تتجلى بوضوح مدى الأهمية والقيمة العلمية والتاريخية للمعلومات والأخبار التي حفل بها كتاب **قرة العين** عن المغرب، وما عرفه من أحداث ووقائع في العهد العلوي، وبالأخص في فترة حكم السلطان محمد بن عبد الله، وما شهده من رخاء

(1) المصدر نفسه، 143.

(2) المصدر نفسه، 442.

(3) المصدر نفسه، 616- 617.

(4) المصدر نفسه، 848.

(5) المصدر نفسه، 849، وينظر عن ترجمة الفلاني: عبدالحي بن عبد الكبير الكتاني، **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، ج. 2، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط. 2، 1402هـ/1982م)، 901-903.

اقتصادي وازدهار علمي وقوة وهيبة، سواء عند ممالك النصارى أو الأتراك العثمانيين. وما عرفه المغرب في عهد السلطان المولى سليمان بن محمد، الذي كان قائما على العرش العلوي في سنة 1225هـ/1810م، وهي السنة التي كان فيها جحاف بصدد تأليف كتابه **الدرر** بصنعاء اليمن، وقد أتم هذا الكتاب بحصن كوكبان إلى الغرب منها، رفقة الإمام المتوكل أحمد بن المنصور، في آخر ربيع الآخر عام 1228هـ/فاتح ماي 1813م،[1] لكننا لا نستطيع تقييم كل كتاباته التاريخية، لافتقادنا لها وعدم وقوفنا عليها، وإن كانت النصوص التي بين أيدينا، والمنقولة عن كتابه **قرة العين**، تؤكد على أهمية هذا الكتاب وقيمته العلمية، ولو تم العثور عليه لكان مصدرا تاريخيا لا غنى للباحثين عنه في التأريخ لدولة العلويين بالمغرب، ولكان جحاف من كبار مؤرخي هذه الدولة وثقاتهم.

• تقييم النصوص المقتبسة من كتاب الدرر

اهتم جحاف بتتبع أخبار السلاطين العلويين في المغرب، حتى زمن تأليفه لكتابه **الدرر** سنة 1225هـ/1810م، أي إلى عهد السلطان المولى سليمان بن محمد بن عبد الله، وروى أخباره من مصادر مغربية وثيقة، وتحلى بالموضوعية والمصداقية والأمانة العلمية فيما نقله من معلومات، فتوافقت أخباره في مجملها مع ما جاء في أقدم وأوثق المصادر التاريخية المغربية للعهد العلوي، كما وضحنا ذلك سلفا، إلا أن هذه الأخبار لا تخلو من بعض الأخطاء والهفوات التاريخية البسيطة التي لا تقلل من أهميتها وقيمتها التاريخية المعتبرة بصورة عامة.

وقد أصاب جحاف في تحديده لأغلب المدد الزمنية لفترات حكم السلاطين العلويين، وتوسع نسبيا في الحديث عن السلاطين العظام منهم، وأشاد بجهودهم وانتصاراتهم، ووصف امتداد مجال نفوذهم، وعدد حواضر وكراسي الحكم في مملكتهم، وأشار إلى بعض الصراعات فيما بينهم، وميز بين أماكن مبايعتهم وقواعد حكمهم وأماكن وفاتهم، وتطرق باختصار إلى ما بذلوه من جهد في قمع الخصوم والمناوئين، داخل المغرب وخارجه، وما كانوا يبعثون به من صلات واسعة سخية وهدايا ثمينة لأهل المشرق الإسلامي عامة، وأشراف الحجاز واليمن خاصة.

وتكمن أهمية روايته التاريخية، في أنها أتت من مؤرخ يمني لم يزر المغرب، إلا أنه أولى اهتماما بالغا لرصد أحوال هذا القطر القصي، بقناعة ذاتية، متخففا من ضغوط إغراءات

(1) جحاف، **درر**، 122.

السلطة والجاه والمال وما إلى ذلك، وأظهر انجذابا شديدا لاستقصاء أخبار السلاطين العلويين في العصر الحديث، ومعرفة حقيقة ما هم عليه، لأنهم يلتقون في النسب العلوي مع أئمة الزيدية في اليمن من الأسرة القاسمية. ولما كان مؤرخنا جحاف على صلة وثيقة بأئمة الزيدية في اليمن في عصره، فقد مكنه هذا من الاطلاع عن قرب على طبيعة العلاقة الودية التي جمعت بين هاتين الأسرتين العلويتين، والوقوف على الصلات الواسعة والسخية والهدايا الثمينة التي كان سلاطين الدولة العلوية يتحفون بها حكام وأمراء وعلماء وأشراف المشرق الإسلامي كله.

وإلى جانب النسب المشترك لكل من السلاطين العلويين وأئمة الزيدية في اليمن، والعلاقات الودية والروابط المتينة التي جمعت فيما بينهم، فإنه من غير المستبعد أن يكون جحاف قد انبرى للكتابة عن السلاطين العلويين بالمغرب بدافع الحمية الإسلامية والشعور بالفخر والاعتزاز الناجمين عن الأصداء التي خلفتها انتصارات بعض السلاطين العلويين على ممالك النصارى، وما كان لها من ذكريات خالدة وآثار طيبة في أذهان أهل المشرق الإسلامي، لاسيما في عهد السلطانين المولى إسماعيل وحفيده المولى محمد بن عبد الله.

يضاف إلى هذا موقف سلاطين الأسرة العلوية بالمغرب وأئمة الأسرة القاسمية الزيدية في اليمن من الأتراك العثمانيين ومعاداتهم لهم وحرصهم على عدم الخضوع لهم أو الاعتراف بخلافتهم، باعتبارهم من سلالة البيت العلوي الهاشمي وأحق بخلافة المسلمين منهم. وهذا ما أفصح عنه تقرير سري رفعه أحد السفراء العثمانيين وهو إسماعيل أفندي يقول فيه: «إن العلويين لا ينظرون بعين الرضا لحكم الترك وأن لهم قلوبا تهفو إليهم في الجزيرة العربية وعبر أقطار الشمال الإفريقي قاطبة، ولذلك فإن ما يتذرع به العلويون من مطالبتهم المستمرة برفع القيد التركي عن الجزائر إنما يقصدون به إلى إقصائنا والاحتفاظ بتلك الإيالات عربية القلب واللسان.»[1]

وكان إمام اليمن المؤيد بالله محمد بن القاسم (ت 1054هـ/1644م)، بعد أن انتزع حكم اليمن من العثمانيين وأخرجهم منها سنة 1045هـ/1635م، قد تلقب بـأمير المؤمنين، وبعث برسالة مطولة إلى أشراف مكة يدعوهم فيها إلى مبايعته، وعنون رسالته بـ: **مناهج الخلف إلى منازل السلف ونصيحة إلى حماة البيت الحرام**. والظاهر أن الغرض من توجيهه لهذه الرسالة إلى أهل مكة هو جعل إمامته شأنا إسلاميا عاما لما لمكة من دلالة رمزية كبيرة لدى المسلمين، وكسب مزيد من المشروعية في المطالبة بأحقيته في الإمامة، واعتبارها واجبة على المسلمين، لانتسابه إلى البيت العلوي، ومما يعزز هذا التوجه أيضا، دعوته أهل المغرب

(1) التازي، «إدريس الأكبر ،» 119.

لمبايعته في رسالته المطولة التي بعث بها إليهم مع الشريف الطاهر بن عبدالله الإدريسي في أواخر سنة 1048هـ/1638م كما سبقت الإشارة. وبخصوص هذا السفير المغربي إلى بلاد اليمن، يقول الدكتور عبد الهادي التازي: «وقد أعجزني البحث عن هوية الزائر المغربي لبلاد اليمن على ذلك العهد: الطاهر بن عبد الله وهل له صلة بأمير فاس عبد الله بن محمد الشيخ الذي له آثار بصحن جامع القرويين بالرغم من أن السعديين ليسوا أدارسة.» إلى أن قال: «لكني على ظن من أن ذلك التحذير وصل بلاد المغرب، وأنه كان من أسباب تدارك الأمر من قبل سيدي محمد بن الشريف محمد الأول، أول ملوك الدولة العلوية الشريفة، الذي ظهر في نفس التاريخ الذي حملت فيه الرسالة إلى الديار المغربية.»[1]

وبعد هذا، حري بنا التوقف برهة، عند استعمال جحاف لمصطلح «القيام» أو «القومة» و«قام بالأمر من بعده» في معرض حديثه عن تولية السلاطين العلويين بالمغرب، للوقوف على دلالة ورمزية هذا المصطلح عند الزيدية. إذ من المعلوم أن المذهب الزيدي مذهب خروج وثورة على أئمة الجور والظلم، والإمام المستحق للإمامة عندهم، يجب أن تتوفر فيه الشروط المعتبرة عند أهل المذهب الزيدي الهادوي من أهل اليمن، وأولها النسب العلوي الفاطمي -أي حصر الإمامة في البطنين من أولاد الحسن والحسين-، وأن يخرج شاهرا سيفه داعيا لنفسه.

وعلى هذا الأساس، يمكن أن نستنبط من مجمل نصوص جحاف، واستعماله لهذا المصطلح مع ما له من دلالة ورمزية عند الزيدية، أنه كان يَعدّ سلاطين الدولة العلوية من أئمة الزيدية ورجالها في العالم الإسلامي، ويلحقهم بهم، ويعتبر دولتهم امتدادا للدولة الإدريسية العلوية الأولى التي قامت بالمغرب في القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، شأنه في ذلك شأن المتقدمين والمتأخرين من مؤرخي الزيدية باليمن.

خـاتمة

ظهر مما سبق أن الصلات الأخوية والعلاقات الودية الطيبة قد استمرت بين أهل المغرب وأهل اليمن في العهد العلوي، وأن المؤرخ لطف الله جحاف قد أتحفنا بنصوص تاريخية قيمة أبان فيها عن اهتمامه بأخبار المغرب وعلاقاته باليمن في العهد العلوي إلى زمنه، رغم بعد الشقة وصعوبة وسائل المواصلات والاتصال وقتئذ.

وما أحوجنا اليوم إلى إحياء وتجديد مثل هذه العلاقات، في ظل ثورة المعلومات والتكنولوجيا وتوفر وسائل الاتصال، واستثمار ذلك الرصيد التاريخي والمخزون الفكري والإرث

(1) التازي، «إدريس الأكبر،» 118-119.

الودي، والعمل على تعزيزه وتمتين الصلات الثقافية وتكثيف الروابط العلمية بين أهل مشرق العالم الإسلامي ومغربه عامة، وبين أهل المغرب واليمن خاصة.

ولعل بحثنا هذا يدخل في هذا الإطار، ويكرس هذا التوجه، لأنه مساهمة متواضعة في الكتاب التكريمي الذي تعده جامعة القاضي عياض اليحصبي السبتي اليماني الأصل بمدينة مراكش العامرة، على شرف أستاذنا الفاضل العلامة المحقق، والمؤرخ المدقق، الدكتور حسن حافظي علوي- حفظه الله ورعاه- الذي كان لنا شرف الأخذ والتتلمذ عليه، وازددنا تشريفا بدعوته الكريمة لنا للمشاركة في هذا الكتاب النفيس إلى جانب ثلة من المؤرخين البارزين بكل من المغرب وتونس.